جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الإرساليات التنصيرية وعلاقتها بالتعليم في شمال السودان (١٨٩٩-١٩١٤م) مدينة الخرطوم نموذجاً

إعداد

د/أحمد محمد الطاهر سليمان

المدرس بقسم التاريخ والحضارة
كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الإرساليات التنصيرية وعلاقتها بالتعليم في شمال السودان (١٨٩٩-١٩١٤م) مدينة الخرطوم نموذجاً.

أحمد محمد الطاهر سليمان

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني: ahmedaltaher@azhar.edu.eg

الملخص:

تناول هذا البحث الإرساليات التنصيرية وعلاقتها بالتعليم في شمال السودان (١٨٩٩-١٩١٤م) فقد كانت فترة الحكم المصري للسودان مقدمة لدخول عدد من الجاليات الأوروبية والتركية والمصرية إلى بلاد السودان، وقد اعتبر المنصرون أن استيلاء (محمد على باشا) على السودان يعد علامة بارزة في تاريخ المسيحية في السودان، أما في عهد الحكم الثنائي (البريطاني المصري) في السودان، فإن الحكومة في بداية عهدها لم تسمح بعمل الإرساليات التنصيرية في البلاد خوفاً من إثارة المشاعر الدينية لدي المواطنين في الشمال و إعادة التجربة المهدية إلا أنها لم تلبث أن رضخت لضغوط المنظمات العالمية التنصيرية فسمحت للإرساليات التنصيرية عملها في البلاد وخاصة في مدينة الخرطوم لأنها مقر للحكومة المركزية والذي وجد فيه القساوسة والمنصرون بيئة ملائمة للعمل التنصري، كما تولت تلك الإرساليات التنصيرية تقديم الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية لمواطني الشمال ، وعن طريق التعليم وبناء الكنائس أنشأوا الإرساليات والبعثات المختلفة في الشمال سواء كانت بعثات نمساوية ، وإيطالية، وأمريكية وبريطانية، كما سنري بين ثنايا البحث .

الكلمات المفتاحية: التنصير، الإرسالية، التعليم، الخرطوم، السودان، بريطانيا .

Missionary Missions And Their Relationship To Education In Northern Sudan (1899-1914)Khartoum City As Amodel.

Ahmed Mohammed Al-Taher.
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Zagazig, Al-Azhar University .
E.Mail. ahmedaltaher@azhar.edu.eg.

Abstract:
This research deals with missionary missions and their relationship with education in North Sudan (1899-1914 AD) The period of Egyptian rule in Sudan was an introduction to the entry of a number of European, Turkish and Egyptian communities into Sudan, Missionaries considered the seizure of Sudan by Muhammad Ali a prominent mark in the history of Christianity in Sudan, As for the era of dual rule (British-Egyptian) in Sudan, the government at the beginning of its reign did not allow missionary missions to work in the country for fear of stirring up religious feelings among citizens in the north and repeating the Mahdist experience, However it soon succumbed to the pressures of international missionary organizations and allowed missionary missions to work in the country, especially in the city of Khartoum Because it is The Seat Of The Central Government and where priests and Missionaries Found A Suitable Environment For work. These missionary missions also provided educational, health and social services to the citizens of the north, Through education and building churches, they established various missions and missions in the north, whether they were Austrian, Italian, American and British missions, as we will see in the folds of the research.

Keywords: Christianization, Mission, Education, Khartoum, Sudan, Britain.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد،،،،،

فمما لا شك فيه عندما خضع السودان للإدارة المصرية منذ عام ١٨٢١م تغيرت ظروفه السياسية والإدارية حيث شهدت البلاد حكومة مركزية واحدة لأول مرة في تاريخها؛ تمثلت في شخصية (الحاكم العام) وكان مقرها الخرطوم ، وقد بدأ نشاط المنصرين الذين نالوا دعماً من الحكومة البريطانية بالتوسع حينما وصلت قوات الوالي محمد علي إلى السودان فأرادت بريطانيا أن يكون لها النصيب الأكبر في الحصول علي الامتيازات وتنافست الإرساليات التنصيرية من دول متعددة مدعومة من حكوماتها من أجل العمل في السودان تحت غطاء التعليم والنهوض بالسودانيين نحو واقع أفضل .

ونظراً لاحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢م ولأن السودان كانت تابعة لمصر فعملت بريطانيا جاهدة على أن تضع قدميها في السودان ، وهذا ما حدث خلال فترة تهيئة السودان للاستعمار عام ١٨٨٢ـ ١٨٩٨م والتي أعقبها اتفاقية السودان الثنائية عام ١٨٩٩م مما جعل السودان يحتل موقعاً متميزاً في السياسة البريطانية في أفريقيا .

فبعد احتلال السودان في عام ١٨٩٩م بادرت الإرساليات التنصيرية وبعض أعضاء البعثات التنصيرية في بريطانيا وأمريكا بالاتصال بكرومر (Cromer) ـــ المندوب السامي البريطاني في مصر، وكتشنر (Kitchener) في الخرطوم مطالبين بالتوسع في نشاط الإرساليات التنصيرية في السودان فأرسلت جمعية (آباء فيرونا) (Aba.Firuna) ــ وهي جمعية إيطالية تتبع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، والإرسالية الأمريكية مندوبيها للخرطوم .

ومن هذا المنطلق برزت بريطانيا بشكل واضح في تشجيع الإرساليات التنصيرية للتوجه للسودان عقب عقد تلك الاتفاقية الثنائية بحجة التعليم والصحة وركزت وجودها في الشمال فأنشأت المدارس والمستشفيات للممارسة نشاطها التنصيري ؛ حيث كان التعليم الإرسالي أحد الأنشطة الذي اهتم به البريطانيون في السودان وذلك لتحقيق الأهداف السياسية التي كانت تسعى إليها الحكومة البريطانية في السودان .

وقد اعتمدت هذه الدراسة في الأساس على **الوثائق العربية غير المنشورة** والتي اطلعت عليها في دار الوثائق القومية ، وأهمها المحافظ الخاصة بالسودان وهي مرتبة ومفهرسة بنظام الكود الأرشيفي وتحتوي على موضوعات مختلفة عن السودان ، كما اعتمدت هذه الدراسة أيضاً على **الوثائق الأجنبية غير المنشورة** و أهمها وزارة الخارجية البريطانية و المعروفة بـ(Foreig.Office) فمقرها في دار الوثائق العامة بلندن (Record Office Public) ويوجد بعض ملفات منها بمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، وقد حصلت على صور المجموعة الموجودة في هذا المركز تحت رقم F.O.,407، وفيها مادة علمية غزيرة ساعدتني في التوصل إلى حقائق و نتائج تاريخية في هذا البحث خاصة في مجال النشاط و العمل التنصيري في السودان (Missionary Work) حيث أن بريطانيا كانت طرفاً أساسياً في إدارة الحكم الثنائي في السودان وساعدت على نشر التنصير وإنشاء مدارس تنصيرية في السودان .

كما اعتمدت هذه الدراسة على وثائق أجنبية منشورة مترجمة وهي تقارير كرومر (Cromer) وغورست(Gorst) و كتشنر(Kitchener) من عام ١٨٩٩ إلى عام ١٩١٣م وهي تقارير عن الحالة المالية و الإدارية و الحالة العامة في السودان ومذكرات كتبها الحاكم العام للسودان ، وتقارير المندوب السامي البريطاني في مصر عن السودان ، وتقارير عن المصالح الإدارية في السودان وخاصة مصلحة المعارف .

وقد تُرجمت تلك التقارير ونشرت بجريدة المقطم المصرية ، وجريدة حكومة السودان ونسخ هاتين الجريدتين التي تضمنت تلك الترجمات موجودة بمكتبة كلية الدراسات الأفريقية العليا بجامعة القاهرة و التي أفادت البحث بمادتها الغزيرة .

ونظرا لأهمية هذا الموضوع وخطورته حرص الباحث على تسليط الضوء على عمل تلك الإرساليات في السودان أثناء تلك الفترة التاريخية (١٨٩٩-١٩١٤م) ، وقد جاءت تلك الدراسة في مقدمة و ثلاثة مباحث وخاتمة وملاحق و قائمة بالمصادر والمراجع .

فكان **المبحث الأول** عن " الجذور التاريخية للإرساليات التنصيرية قبيل فترة الحكم الثنائي " فقد وضحت فيه نشاط حركة التنصير في منتصف القرن التاسع عشر في السودان على يد إرساليات كاثوليكية و بروتستانتية و أرثوذكسية حيث جاء التغلغل الكنسي في السودان عامة و الخرطوم خاصة عبر مرحلتين تاريخيتين لكل مرحلة سماتها ومميزاتها الخاصة **فالأولى :** وهي الفترة السابقة لقيام المهدية (١٨٨١/١٨٤٨م) وهي فترة الاستكشاف و إجراء الدراسات و التعرف على المنطقة و شعوبها وبذر البذور ووضع السياسات ، كما سعت تلك الإرساليات لإيجاد قدم لها في السودان تحت حماية الحكام و المستكشفين الأوروبيين خلال تلك المرحلة الأولي ، **وأما المرحلة الثانية :** وهي الفترة التي صاحبت عقد الاتفاقية الثنائية لإدارة شئون السودان في عام ١٨٩٩م وبناءً عليه جاء **المبحث الثاني** بعنوان " سياسة الحكومة السودانية تجاه الإرساليات التنصيرية منذ عام ١٨٩٩م وتعرضت فيه عن نشاط تلك الإرساليات التنصيرية في شمال السودان وبخاصة مدينة الخرطوم ، وتقديم بريطانيا كل الدعم و المساندة لتلك الإرساليات وسياسة الحكومة السودانية تجاه تلك الإرساليات .

وأما المبحث الثالث : فقد حمل عنوان "الإرساليات التعليمية التنصيرية في الشمال " فقد تعرضت فيه الحديث عن الإرساليات الكاثوليكية و البروتستانتية ، وطائفة الأقباط الأرثوذكس و الأسقفية البريطانية ودور تلك الإرساليات التعليمي

عن طريق إنشاء المدارس التنصيرية وذلك لزيادة نشر التنصير بين أبناء السودان وبخاصة في الشمال .

فأما الخاتمة : فإنها تضمنت أبرز النتائج و الحقائق التاريخية المستفادة من البحث و التي توصل إليها الباحث من خلال الدراسة .

وأما الدراسات السابقة :

١ـ حسان ريكان خلف ، الإرساليات التبشيرية في السودان (١٩١٤ـ ١٩٦٤م)، المجلة الملوية ، كلية الآداب ، جامعة العراق ، العدد ٨، المجلد ٤، السنة الرابعة ، ٢٠١٧م ، وتناول البحث التنصير خلال عهد محمد على ثم تطرق بالحديث عن التبشير في جنوب السودان ، و التبشير بين عامي(١٩١٤ـ ١٩٣٩م) في جنوب السودان ، وموقف الحركة الوطنية من التبشير في جنوب السودان ، فهذا البحث تحدث عن الإرساليات في الجنوب و لم يتطرق بالحديث مطلقاً عن التنصير في شمال السودان .

٢ـ عطيات البشير ، أساليب السياسة الإدارية البريطانية في جنوب السودان (١٨٩٩ـ ١٩٢٠م) ، الإرساليات التبشيرية نموذجاً ، المجلة الجزائرية ، العدد ٥ ، ٢٠١٨م ، فهذا البحث بعيداً تماماً عن موضوع بحثي لأنه اقتصر على دراسة الإرساليات التبشيرية كنموذج في جنوب السودان ولم تتطرق الباحثة عن الإرساليات التنصيرية في الشمال .

٣ـ سارة فؤاد طه، الإرساليات التبشيرية في السودان(١٩١٤ـ ١٩٦٤م)، رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآداب ، الجامعة العراقية ، ٢٠٢٠م ، فهي نفس فترة د/ حسان ريكان خلف تناولت فيها الباحثة التنصير في الجنوب بعد الحرب العالمية الأولي ، كما تناولت آثار تلك الإرساليات في تفكك المجتمع السوداني وموقف الحركة الوطنية من الإرساليات في جنوب السودان فهذه دراسة عن الإرساليات في الجنوب أيضاً .

4- Gabriel Warburg , Administration in the Anglo – Egyptian Sudan(1899 – 1916).,Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy in The University of London ., School of Oriental and African Studies., 1968.

و تناول هذا المرجع الأجنبي لجبرائيل وير بيرق وخاصة في الفصل الخامس السياسة الإسلامية في المديريات الشمالية و الطرق الصوفية التي انتشرت في السودان و الانتفاضات الدينية و المعتقلون السياسيون من رجال الدين ، ولم يتطرق البحث عن الإرساليات في الشمال و المؤسسات التعليمية و التنصيرية في الشمال ، كما تناول هذا البحث عن الإسلام في المديريات الجنوبية وجمعيات التنصير في الجنوب و التنصير في جبال النوبة .

5- Richard Hill , Government and Christian Missions in the Anglo-Egyptian Sudan, (1899 – 1914)., Middle Eastern Studies .,1965.

ـ وتناول هذا المرجع الأجنبي لريتشارد هيل السياسة التي اتخذتها بريطانيا في فصل الجنوب عن الشمال ، كما تناول سياسة كرومر تجاه الجمعيات التبشيرية المسيحية بالعمل في الجنوب ، و أهم الإرساليات في الجنوب منها الإرسالية الإيطالية و الأمريكية و الإنجليزية .

ومن خلال العرض يتضح أن الفترة المعنية بالدراسة لا توجد فيها رسالة أكاديمية أو بحث منشور تناول الإرساليات التنصيرية وعلاقتها بالتعليم في شمال السودان (١٨٩٩ـ ١٩١٤م) مدينة الخرطوم نموذجاً .

المبحث الأول

الجذور التاريخية للإرساليات التنصيرية قُبيل فترة الحكم الثنائي

كانت فترة الإدارة المصرية في السودان (١٨٢١ــ ١٨٨٥) عبارة عن استكشافات و إجراء الدراسات ، والتعرف على معظم المناطق و شعوبها بأنحاء السودان ، وبذر البذور ووضع السياسات حيث مهد لها الحكم دخول تلك الإرساليات التنصيرية التي استغلت ظروف ضعف الدولة العثمانية فسعت لإيجاد موطن لها في السودان تحت ستار أو حماية الحكام المكتشفين الأوروبيين أمثال صمويل بيكر (Samwil Baykir)(١٨٦٩-١٨٧٣) [١]، وغوردون (Gordon) (١٨٧٤-١٨٨٠م) [٢] حيث وفرت تلك الإدارة مجموعة من المعلومات الجغرافية

(١) صمويل بيكر : هو ضابط و مكتشف بريطاني عهد إليه الخديو إسماعيل باكتشاف منابع نهر النيل فاكتشف بحيرة البرت في عام ١٨٦٤م وغندكرو و بحيرة فيكتوريا ، ثم جاء إلى مصر بصحبة الأمير إدوارد ولي عهد إنجلترا لحضور حفلات افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م ، كما أصدر الخديو إسماعيل مرسوماً إلى صمويل بيكر عهد إليه فيه ببسط نفوذ مصر في الأصقاع الكائنة جنوبي غندكرو وتنظيمها و نشر التجارة بها ، ومطاردة الاتجار بالرقيق و إنشاء المحطات الحربية فيها وكان بيكر على رأس الحملة التي أرسلها الخديو إسماعيل لهذا الغرض ، و أنعم عليه برتبة فريق فصار يعرف ببيكر باشا ، وجعله حاكماً على مديرية خط الاستواء لمدة أربع سنوات ؛ يراجع: عبد الرحمن الرافعي ، عصر إسماعيل ، الجزء الأول ، ط٤، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ص ١١٢ــ ١١٦.

(٢) غوردون : ولد من أسرة عسكرية في يناير١٨٣٣م والتحق بالأكاديمية العسكرية ، وبعد تخرجه عمل كملازم ثان في سلاح المهندسين ، وتدرج في المناصب القيادية فعمل مديراً لخط الاستواء ، ثم عمل كحاكم عام للسودان في الفترة من (١٨٧٧ـ ١٨٧٩م) ، و كُلِف بالقضاء على تجارة الرقيق ، واستقال عقب عزل الخديو إسماعيل ، وعند قيام الثورة المهدية أرسلته الحكومة المصرية لإخلاء السودان حيث قتل بالخرطوم على أيدي =

والأخبار التي لم تكن تُعرف عن أفريقيا مما أغري عدداً من المنصرين على القدوم للسودان بعد أن جذبت البلاد تلك الإرساليات بغرض نشر لون جديد من ألوان التعليم من جهة، ونشر مدارس الإرساليات التنصيرية لتشمل عدد من الولايات الشمالية من جهة أخري ، والتي كان لها بالغ الأثر في نشر التعاليم المسيحية في الخرطوم [١] .

ونظراً لقيام حكومة مركزية موحدة مقرها في مدينة الخرطوم والتي تمثلت في شخصية (علي خورشيد باشا) ـ حكمدار السودان ـ (أغسطس عام١٨٢٦ـ ديسمبر١٨٣٨م) والذي يرجع إليه الفضل في تأسيس تلك المدينة فقد نتج عن ذلك من استتباب الأمن و النظام بأن عم الاستقرار معظم أنحاء السودان [٢] .

ففي ١٢يوليوعام ١٨٦٦م وردت رسالة رسمية من الحكومة المصرية إلى حكمدار السودان بضرورة الاهتمام بعمران تلك المدينة بعد أن أوضحت له أهمية بندر الخرطوم ، وطلبت منه تلك الحكومة أن يستعين بالحرفيين من البنائين

=

المهديين في ١٨٨٥م ؛ يراجع : محمد صبري السوربوني ، الإمبراطورية المصرية في عهد إسماعيل و التدخل الأنجلو الفرنسي (١٨٦٣ـ ١٨٧٩م) ، ج٢ ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٢٠١٢م ، ص ١٦٩/١٢٢.

(١) محافظ مجلس النظار والوزراء ، محافظ السودان ، المحفظة ٤، الملف ٣، المجموعة ٦١٧، إفادات السودان ، إفادة متبادلة بين المعية السنية وغوردون باشا حكمدار السودان ، بشأن أعمال تخص السودان ، ١٨٨٠/١/٥م ، الكود الأرشيفي /٠٣١٤٤٣ـ٠٠٧٥.

(٢) أحمد أحمد سيد أحمد ، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري (١٨٢٠ـ ١٨٨٥م) ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ١٨٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م ، ص ١٠٦.

والنجارين ومن إليهم لبناء المساكن والمنازل ، وكانت الأجرة تصرف لهؤلاء العمال والتي كانت تقدر بنحو (٦٠٠) كيس تقريباً [١] .

ومن جهة أخرى اهتم المنصرين بنشر المسيحية في أنحاء أفريقيا المختلفة ، وبدأ اهتمامهم بالسودان بشكل واسع إبان حكم الوالي محمد على لمصر (١٨٠٥ـ ١٨٤٨م) ، ولذلك عدَّ المنصرون أن فتح هذا الوالي للسودان عام ١٨٢١م علامة بارزة في تاريخ المسيحية في السودان فبدأوا يعطونه اهتماما أكبر خاصة المنصرين البريطانيين و الفرنسيين الذين أنشأوا مراكز لهم في شرق أفريقيا ، حيث كانوا يسعون إلى مد نفوذهم إلى وادي النيل [٢] .

ولما كان السودان يمثل أهمية خاصة في نظر المنصرين المسيحيين باعتباره مدخلاً لأثيوبيا المسيحية زاد نشاط دخول البعثات التنصيرية عقب استيلاء (محمد على)على السودان سواء كانت بعثات بريطانية أو فرنسية ؛ ففي عام ١٨٤٠م أعطي محمد علي تسهيلات وامتيازات خاصة للمدارس الكاثوليكية الفرنسية ، وبجانب تلك المدارس ظهرت المستوصفات الفرنسية التي كانت تقوم بالتنصير بين أوساط المسلمين تحت ستار العلاج حيث سمحت الحكومة السودانية للجمعيات التنصيرية بإقامة مراكز طبية وفتح مدارس في مديريات الشمال وبخاصة في الخرطوم ؛ ولذلك أسرعت البعثات التنصيرية(الإنجليزية والفرنسية) إلى وادي النيل لإنشاء قواعد لهم فيه [٣] .

---

(٣) الكيس يعادل ٥٠٠ قرش ، محافظ أبحاث السودان ، المحفظة ١٩، الملف ١، المجموعة ٢٣٦، الدفتر ٥٥٨ ، معية تركي ، الوثيقة رقم ٥٩، ترجمة الوثيقة التركية إلى حكمدار السودان ، بتاريخ ١٢/٧/ ١٨٦٦م .

(١) عبد القادر إسماعيل ، الأصولية المسيحية و أزمة الهوية في السودان ، مؤسسة الطوبجي، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ١٢٦.

(٢) خالد محمد نعيم ، الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ، دراسة وثائقية ، دار المختار الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٣٨.

وبعدما فتح محمد على السودان أمام حركة البعثات التنصيرية مما كان له الأثر الأكبر في نشر إرسالياتهم في شمال السودان ، بل نجده يصدر أوامره للولاة في مدينة الخرطوم بتقديم يد العون والمساعدات لتلك الإرساليات من ناحية، وإعفائها من الضرائب من ناحية أخرى الذين كان هدفهم في المقام الأول نشر المسيحية في السودان ، وتعليم أبنائهم القراءة والكتابة ، وتمكينهم من الاطلاع على نصوص الإنجيل [١] .

ومن هذا المنطلق استهلت البعثة الكاثوليكية نشاطها في السودان وذلك بفتح مدرسة داخلية في مدينة الخرطوم في يوليو ١٨٤٣م تحت إدارة (لويجي منتوريLuigi.Mentorey) (١٨٤٣ــ ١٨٤٥) [٢]، وإقامة كنيسة صغيرة بها حيث كان الغرض من تلك الإرسالية تعليم أبناء الزنوج الذين كانوا يشترون من أسواق العبيد ، وتعليم بعض الأبناء الأوروبيين والمولدين(الذين كان آباؤهم من الأجانب)، وتعليم سكان الخرطوم (وهم السودانيون الشماليون)، لكن تولى أمر تلك الإرسالية وخاصة المدرسة والكنيسة (القس سيراسنت Sirasint) (النمساوي) بعد رجوع منتوري إلى مقر إرساليته في أثيوبيا عام ١٨٤٥م ، وقبل أن يغادر

(٣) محمد عمر بشير، تطور التعليم في السودان (١٨٩٨– ١٩٥٦م) ، ط٢، ترجمة هنري رياض وأخرون، دار الجيل ، بيروت ،١٩٨٠م،ص ص ٤٩–٥٠.

(١) لويجي منتوري : وهو قس من نابلي بإيطاليا جاء إلى السودان قادماً من أثيوبيا إذ وصل الخرطوم في يوليو(تموز) ١٨٤٣م وبني كنيسة كاثوليكية ومدرسة في هذه المدينة ثم وصل إلى أعالي النيل ومارس نشاطه التنصيري بين أبناء قبيلة الشلك (إحدى قبائل جنوب السودان) ، وقد وضع أول لبنة في بناء حركة التنصير الكاثوليكية في السودان والتي حظيت بالدعم البابوي عندما أرسلت البابوية في فبراير(شباط) عام ١٨٤٨م بعثة تنصيرية إلى السودان ، يراجع :

(2) Dorothea .,Mcewan., A Catholic Sudan Dream Mission Reality .,Roma.,1987.,P.P.17-20. Dorothea , Mcewan., Op.Cit.,P17.

منتوري السودان وضع أول لبنة في بناء حركة التنصير الكاثوليكية في السودان[١] .

لكن بعد هذه البعثة التنصيرية أصدر البابا جريجوري السادس عشر (Gregory.XIV) (١٨٣١-١٨٤٦م) قراراً بتأسيس إرسالية كاثوليكية في أفريقيا الوسطي بحيث تشمل السودان الغربي بما فيه سودان وادي النيل الشمالي والتي عرفت بـ " إرسالية وسط أفريقيا" وذلك لنشر المسيحية في السودان بصفة عامة والخرطوم بصفة خاصة [٢] .

وفي عام ١٨٤٦م عين المطران كازولائي (Kazulayiy) (١٨٤٦ـ ١٨٤٨م) المالطي رئيساً لتلك الإرسالية ، ووقع الاختيار على مدينة الخرطوم لتكون قاعدة لهم حيث إنها أصلح مكان لتأمين مواصلاتهم إلى أفريقيا الوسطى ، وكانت أهداف تلك البعثة رفع مستوى الأهالي علمياً وصحياً، ومساعدة المسيحيين العاملين بالقطاع التجاري في السودان والقضاء على تجارة الرقيق [٣].

وبناءً على هذا أصبحت الخرطوم بمقتضي صدور القرار البابوي مقراً لنشاط الإرساليات الكاثوليكية في السودان ؛ ففي عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٨م وصلت إرسالية إلى الخرطوم من التنصيريين الكاثوليك وهم موريستر (Moreister)، ومكسمليان ريللو (MaximilianRiello)، وأنجلو فمنشو (AngeloFamunchu)، أبريد يمونت (Abredemont)، وقد استطاعت تلك البعثة بناء كنيسة ومدرسة في الخرطوم والتي أطلق عليها (مدرسة البعثة الكاثوليكية) شملت (٢٠) تلميذاً [٤] .

Dorothea , Mcewan., Op.Cit.,P17.

(٣) يونان لبيب رزق مقال بعنوان/ التبشير في جنوب السودان ، جريدة الهلال ، العدد ٩، ٩/ ١٩٦٥م ، ص ٦٢.

(٣) أحمد أحمد سيد أحمد ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٤٠-١٤١.

(1) Hill., R., Egypt In The Sudan (1820-1881).,London., 1959.,P.127 .

كما توسعت المدرسة فشملت قسما خارجياً للأطفال السودانيين والأوروبيين المقيمين في السودان واحتوى منهج المدرسة على دراسة مواد القراءة والكتابة والحساب ، والأشغال اليدوية ، واللغات العربية والفرنسية والإيطالية ، في الوقت نفسه افتتح قسماً للتعليم المهني والحرفي بها وذلك تحت إشراف الخبراء الإيطاليين حيث كان معظم عمال الترسانة (دار الصناعة) في الخرطوم من خريجي هذه المدرسة [١] .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ظهرت أثناء هذه الفترة تعليم البنات الإرسالي (التنصيري) وخاصة عام ١٨٤٦م حيث أخذت المرأة السودانية نصيباً وافراً من التعليم ، فقد أنشأ المنصرون مدارس في ظل فترة الحكم المصري حيث تعلمت المرأة السودانية (القراءة ، والكتابة ، و الحساب ، وصناعة الخشب)، كما صاحب خلال تلك الفترة ظهور طريقة " الطواف" على البيوت بعد أن كان مجهودهم محصوراً في مراكز التنصير، وبعد أن علموا أن العرف السوداني لا يسمح بخروج المرأة وضح النهار في بعض الأماكن ، فقد علَّمت المنصرات النساء في بيوتهن من الطبخ ، والخياطة ، والتطريز ، كما علمتهن مبادئ الكتابة ، والقراءة ، والحساب ، وقبلت كثير من الأسرات السودانية هذا النوع من التعليم، إلا أن هذا النوع من التعليم كان شفوياً غير مبرمج لا يسير حسب خطة ومنهج موضوع وكان التدريب فيه غير كافٍ [٢] .

وقد كان من أشهر المنصرات من النساء اللاتي قد تلقين تعليمهن بمدينة فيرونا بإيطاليا " ظريفة أدويت" من قبيلة الدينكا بجنوب السودان ، " وبحر النيل حسن " من دارفور ، و"بخيته ريحانه" من قبيلة دار مساليت والتي تسكن إقليم دارفور بغرب السودان وشرق تشاد ، وزهراء بنت القباني والتي تدربت في

(٢) أحمد أحمد سيد أحمد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٣.

(١) حاجه كاشف بدري ، الحركة النسائية في السودان ، الطبعة الأولى ، الخرطوم ، ١٩٨٤م ، ص ٢٤.

المدرسة الإنجليزية بالخرطوم ، وفاطمة الدينكاوية التي فتحت مدرسة الإنجليزية في واد مدني ، وكان القس (قوين) يعتمد عليها [١] .

ونري أن مدرسة الخرطوم كانت موضع تأييد من قِبل الحكومة السودانية (الحاكم العام السوداني) في الوقت نفسه لم يعترض عليها أهالي السودان فلم يهتموا بها لأنها لم تفتح تلك المدرسة أبوابها لقبول الأطفال المسلمين من الشعب السوداني .

وفي محاولة مستميتة لنشاط التعليم التنصيري ودوره داخل المجتمع السوداني قام الأب (دانيال كمبوني) (Daniel.Comboni) [٢] وهو إيطالي الأصل(١٨٣١- ١٨٨١م) ـ في عام ١٨٥٧م بمجهودات كبيرة لدفع هذا النوع من التعليم دفعاً قويا ، وكان من رأي كمبوني والذي يُعد من أشهر رجال البعثات التنصيرية الذين عملوا بالسودان في الفترة من (١٨٥٧-١٨٨١م) إنشاء مدارس تنصيرية في شمال السودان و خاصة بعدما شعر أن التعليم خير وسيلة لتحويل واعتناق الديانة المسيحية [٣] .

---

(٢) إلياس ف. طونيولو ، دور الإرساليات الكاثوليكية في حركة الكشف الجغرافي وعلم الأجناس البشري في السودان(١٨٤٢- ١٨٩٩م) ، الخرطوم ، ١٩٥٨م ، ص ٤٠.

(١) دانيال كمبوني : وهو إيطالي الأصل ولد في عام ١٨٣١م ، ودرس في معهد مازا في فيرونا بإيطاليا وجاء إلى السودان عام ١٨٥٧م ثم عاد إلى إيطاليا بعد عامين ، وأنشأ كلية تنصيرية لإرسالية أفريقيا عام ١٨٦٧م وذلك على أثر زيارته للسودان مرة أخري مع عدد من القساوسة في عام ١٨٧٣م ، ويبدو أن علاقته المتردية مع قبائل الشلك في جنوب السودان كانت سبباً في تحويل نشاطه إلى الشمال ، وقد أخذ نشاطه حول مدينة الخرطوم حيث أتم بناء مدرسة الإرسالية الكاثوليكية بالخرطوم عام ١٨٧٨م ، وارتبط اسمه بالتعليم بكافة أنواعه ، وبعدها توفي بمدينة الخرطوم ١٨٨١م ؛يراجع : Aldocill.,Daniel.,Comboni.,The Man And His Message Italya.,1980.,PP.7-8

(٢) حسن مكي محمد أحمد ، المشروع التنصيري في السودان (١٨٤٣-١٩٨٦م) ، المركز =

وبالفعل استطاع كمبوني خلال هذه الأعوام سالفة الذكر إقامة(٦) مراكز تنصيرية في شمال السودان ، كما شيد كنيستين في كل من الخرطوم والأبيض (بكردفان) وبدأت طلائع كمبوني تظهر نشاطها في مجال التعليم فأسس مدرسة في الخرطوم وأسس مدرستين في بربر وسواكن وصل عدد التلاميذ بهما في عام ١٨٧٨م إلى حوالي (٣٠٠) تلميذاً والبنات إلى (٢٠٠) تلميذة وذلك بمؤازرة الدول الأوروبية وخاصة فرنسا والنمسا [١] .

ويبدو أن الإدارة المصرية في السودان لم تكن تقف ضد نشاط الإرسالية وخاصة التعليمي منها ، كما كانت حريصة على رعايتهم وحمايتهم كسائر مواطني السودان ؛ ففي أوائل عام١٨٧٠م طلب المسئولون ببربر تخصيص (وابور) لنقل رئيس عموم الكنائس الكاثوليكية وبعض المعلمين و أرباب الصنائع وبعض الراهبات ، وربما يعود هذا التأييد إلى تعاظم النفوذ الأجنبي في ذلك الوقت وقد ظلت مدرسة الإرسالية بالخرطوم تقوم بمهمتها التعليمية حتي قيام الثورة المهدية فتوقف نشاطها مع توقف سائر أنشطتها الأخرى و رحلت إلى القاهرة [٢] .

=

الإسلامي الإفريقي في الخرطوم ، العدد ١١، شعبة البحوث والنشر ، السودان ، ١٩٩١م ، ص ص ٢٢-٢٣.

(١) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان من (١٨٤١-١٨٨١م) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٥١٣. ؛ يراجع أيضا : د/ محمد عمر بشير، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٤.

(٢) محافظ أبحاث السودان ، المحفظة ٢٥، الملف ١، المجموعة ٢٦٩، ، الدفتر رقم ١٨ عابدين ، وارد تليغرافات ، صورة التلغراف العربي رقم ٨٣٢، بتاريخ غرة محرم عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٠م) .

لكن اتخذت الحكومة المصرية موقفاً سلبياً تجاه تلك الإرساليات(البعثات) التعليمية التي تم إقامتها في السودان فلم تقدم تلك الحكومة لهذه الإرساليات معونات تذكر على عكس ما كان في مصر وخاصة خلال عصر الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م) والذي اتسمت سياسته تجاه مدارس الإرساليات في مصر بالتشجيع والعطف ؛ إذ قدم إليهما المساهمات المالية والأراضي وذلك لبناء المدارس عليها وخاصة الدول التي كان الخديوي يحرص على كسب ودها كبريطانيا وفرنسا[١] .

وبفضل تشجيع الخديو إسماعيل ورعايته للمدارس الأجنبية في مصر والتي قام على تأسيسها الإرساليات الغربية زادت أعداد المدارس الأوروبية والتي تنتمي للجاليات الأوروبية ، وبلغت خلال سنوات قليلة(١٨٦٣ـ ١٨٧٩م) نحو (٧٠) مدرسة ، ولم يقتصر القبول فيها على أبناء تلك الجاليات الأوروبية في البلاد ، ولكن امتدت لقبول الطلاب المصريين خاصة مدارس الإرسالية الأمريكية ، والتي كان لها وجود قوي خاصة في تعليم البنات سواء في القاهرة أو أسيوط أو طنطا ، وبلغت عدد مدارس تلك الإرسالية نحو(٣٦) مدرسة ، وهو الأمر الذي أدخل المخاوف إلى قلوب الأقباط خوفاً من تحويل أبنائهم إلى المذهبين البروتستانتي و الكاثوليكي ، الأمر الذي دفعهم إلى إنشاء مدارس لهم بلغت في عصر إسماعيل نحو(١٢) مدرسة في أنحاء مصر[٢] .

(١) المصدر السابق ، المحفظة ٢٤، الملف ١، المجموعة ٢٣٥، الوثيقة رقم ٤٠، معية عربي ، الدفتر رقم ٨١، المجلس الخصوصي ، ص ١٩، بتاريخ (١٥من شعبان ١٢٨٩هـ) ، ١٨من أكتوبر ١٨٧٢م.

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٩.

ولئن لم تحظ الإرساليات التنصيرية في السودان بالمعونات المالية من خديو مصر نجدها " تأخذ قطعة أرض من الأراضي الحكومية بمديرية الخرطوم لتزرعها بناءً على طلبها مقابل دفع الضرائب سنوياً" (١) .

وقد استمر هذا الموقف السلبي من الحكومة المصرية تجاه الإرساليات التنصيرية في السودان حتي قيام الثورة المهدية في السودان عام ١٨٨١م بقيادة محمد المهدي(١٨٨١-١٨٨٥م) - قائد الثورة المهدية - والتي قضت على النشاط التنصيري بأسره في السودان مما أدي هذا بدوره إلى توقف النشاط التعليمي التنصيري في شمال السودان (٢) حيث تم إلغاء معظم المدارس التنصيرية التي كانت تديرها الإرساليات الأوروبية والعودة لنظام التعليم المصري في السودان الذي كان قائماً قبل نشاط تلك الإرساليات (٣) .

ومن ناحية أخرى قام المهدي بتدمير كل مؤسسات الإرسالية الكاثوليكية النمساوية التي تم إنشاؤها خلال فترة الحكم المصري وهربوا المنصرين إلى القاهرة مع طلبة الإرسالية فواصلوا نشاطهم في القاهرة وكونوا عدد من الأسر التنصيرية السودانية ، وقد أصبحت النواة الأولى للكنيسة الكاثوليكية في السودان

(٣) محافظ أبحاث السودان ، المحفظة ٢٧، الملف ١، المجموعة ٢٦٩، الدفتر ٢٣ عابدين ، وارد تلغرافات ، صورة التلغراف العربي رقم ٥٤٢، من حكمدار السودان إلي خيري باشا ، ص ٩٦، بتاريخ ٢٥ من صفر ١٢٩١هـ ، ٢٨من مارس ١٨٧٤م .

(١) ألغي المهدي كل التيارات الثقافية الغربية كإلغاء كل التيارات المنحرفة و القضاء على مظاهر الفساد و التي انتشرت في سكان المدن وخاصة مدينة الخرطوم و التي انتشر فيها التقليد الغربي و عادات المدّنية الأوروبية ، والتي أصبحت عادات و أخلاق المجتمع السوداني في الطبقة الأولي و الثانية حتى في المأكل و المشرب أصبحت العادات أوروبية خالصة ؛ يراجع : محمد فوزي مصطفي عبد الرحمن ، الثقافة العربية و أثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر ، ط ١، الخرطوم ، ١٩٧٢م ، ص ١٩٢.

(٢) يحيي محمد إبراهيم ، تاريخ التعليم التقليدي في السودان و الصراع بينه وبين التعليم الحديث ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤٧ .

بعد انتهاء الثورة المهدية وبعد هزيمة عبدالله التعايشي (١٨٨٥ـ ١٨٩٨م) [١] ـ زعيم المهدية بعد وفاة المهدي وحاكم السودان ـ في سبتمبر عام ١٨٩٨م بأم درمان [٢] .

ومهما يكن من أمر فقد تميزت فترة هذه المرحلة بالصعاب الجغرافية والمناخية والصحية مما أدي إلى عدم تحمل المنصرون لتلك الظروف المناخية القاسية ، ونضوب مواردهم المالية من ناحية ، وهروب رؤساء الإرساليات التنصيرية خوفاً من المهدية من ناحية أخري فمنهم من مات وقتل في مجاهل السودان المختلفة ، ومنهم من تمكن من الهروب أمثال " الأب لويجي بونومي" (Luigi.Bonomi) والذي هرب في يونيو عام ١٨٨٥م ، أوهر فالدر (Ohr.Falder) وهرب في يناير عام ١٨٩١م[٣].

وقد استخدمت الإرساليات التنصيرية إبان الثورة المهدية العمل بطريقة " حكومات المنفي" ، كما كان لها نشاط بمصر قامت به و أطلق عليها " إرسالية السودان في المنفي أي العمل للدعوة و التنظيم وهي خارج السودان في مصر وأثيوبيا وغيرها من الدول وكانت تحت إرشاد القس (ف . سوفارو F.Sofaro) [٤].

ونري بأن حثت تلك الإرساليات التنصيرية على بناء المدارس التنصيرية في شمال السودان وبخاصة مدينة الخرطوم بعدما قضت المهدية على معظم تلك

---

(٣) عبدالله التعايشي : هو عبدالله بن محمد التقي الشهير بعبد الله التعايشي حيث ينتمي لقبيلة التعايشة وهي فرع من فروع البقارة ، وحفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الدينية و أعقب المهدي في حكم السودان بعد وفاته عام ١٨٨٥م ؛ يراجع : مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١م ، ص ص ٣٨١–٣٨٤ .

(١) توفيق المديني ، تاريخ الصراعات السياسية في السودان و الصومال ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٤م ،ص ٢٣.

(٢) يونان لبيب رزق ، مقال بعنوان / التبشير في جنوب السودان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٢.

(٣) التيجاني عامر، جنوب السودان ، بحر الغزال بين العصابات و الحكومات ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ١١٦.

المدارس التي أنشئت في مدينة الخرطوم حيث اقتصر النشاط التعليمي التنصيري على الإرساليات الكاثوليكية في هذه الفترة فلم نجد أي أثر للنشاط التنصيري للإرساليات الأخرى (البروتستانتية ، الأرثوذكسية) ، علماً بأن لم تتمكن تلك الإرساليات الكاثوليكية من استئناف نشاطها إلا بعد سقوط الدولة المهدية ودخول الجيش البريطاني السودان عام ١٨٩٨م .

المبحث الثاني

سياسة الحكومة السودانية تجاه الإرساليات التنصيرية منذ عام ١٨٩٩م

مما لا شك فيه بعد عقد الاتفاقية الثنائية بين مصر و بريطانيا لإدارة شئون السودان منذ يناير عام ١٨٩٩م ؛ أعطت تلك الاتفاقية قوة لبريطانيا للتدخل في شئون السودان مما زاد من تدخل المنصرين في السياسة البريطانية التي كانت تنتهجها في السودان بعدما وصلت تلك الإرساليات التنصيرية إلى بلاد السودان عامة و إلى مدينة الخرطوم خاصة [١].

فبالرغم من أن قوانين حكومة السودان المنظمة للعمل التنصيري التي قررت بأنه لا يجوز لأي إرسالية تنصيرية أن تمارس عملها شمال خط عرض(١٠درجة) في أي جزء من أجزاء السودان المُعتبر سُكانه مسلمين إلا أن السلطات البريطانية سمحت ببناء مدارس في المدن الشمالية للبنين والبنات وبخاصة في مدينة الخرطوم [٢] .

(١) حسان ريكان خلف ، مقال بعنوان / الإرساليات التبشيرية في السودان (١٩١٤-١٩٦٤م) ، المجلة الملوية ، المجلد ٤، العدد ٨، السنة الرابعة ، كلية الآداب ، جامعة العراق، ٢٠١٧م ، ص ١٤٨.

(٢) جبرائيل ويربيرق ، السودان في عهد ونجت ، الإدارة الإنجليزية المصرية في السودان (١٨٩٩ـ ١٩١٦م) ، ترجمة محمد الخضر محمد سالم ، ط٣، دار النشر كادوقلي ، مطبعة تربل ، ٢٠١٥م ، ص ٢٢٢.

وقد قدمت الإدارة البريطانية كل التسهيلات للمنصرين في ممارسة أعمالهم بحرية مطلقة وقدمت سبل الدعم والمساندة والتسهيلات ، ومن مظاهر تلك التسهيلات إقدام القوات البريطانية على حماية الإرساليات عن طريق إرسال مجموعة من الجنود الذين كانوا يرافقون أعضاء الإرسالية خشية تعرضها إلى أعمال النهب والسلب وهي تجوب الأراضي الشاسعة الوعرة (١) .

وفي عام ١٩٠٠م أسهمت الإدارة البريطانية في تسهيل عمل المدارس التنصيرية عن طريق وضع القوانين واللوائح التي أصدرها جيمس كيري (Games.Currie) (١٩٠٠ـ ١٩١٤م) ـ أول مدير استعماري للمعارف في السودان وضع في عام ١٩٠١م أسس النظام التعليمي في السودان ـ والتي كانت تلك القوانين تُنظم عمل المدارس في السودان حيث كان هذا النظام الذي وضعه كيري يتسم برؤية مستقبلية تخدم المصالح البريطانية على المدي الطويل في السودان (٢) .

ومن ناحية أخري انتهجت الإدارة البريطانية سياسة مبرمجة في السودان نابعة من مصلحة بإدارة المعارف التي تشرف على تنفيذها ، فلم تكن سياسة تلقائية بل وضعت بناءً على حاجيات البلاد السياسية و الاجتماعية والتعليمية(٣).

وقد بدأ نشاط المنصرين الذين نالوا دعما من الحكومة البريطانية بالتوسع بعدما احتلت القوات البريطانية السودان والتي أرادت بريطانيا أن يكون لها

(١) عبد الحميد البطريق ، أفريقيا حلم الاستعمار البريطاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٥، ص ١٩٣.

(٢) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث (١٨٢٠ـ ١٩٥٥م) ، ط ٢، مركز عبد الكريم ميرغني ، السودان ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٣٢.

(٣) مكي شبيكة ، السودان في قرن ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، ١٩٤٧م ، ص ٣٢٦.

النصيب الأكبر في الحصول على امتيازات، وتدعيم مركزها في مصر كخطوة نحو تعزيز إرساليتها في الخرطوم والمناطق المجاورة ، كما تنافست الإرساليات التنصيرية من دول أوروبية متعددة كالنمسا و إيطاليا وألمانيا وبريطانيا و فرنسا مدعومة من حكوماتها من أجل العمل بالسودان تحت غطاء التعليم والصحة والنهوض بالسودانيين نحو واقع أفضل [١] .

ومن الجدير بالذكر أن التنصير لم يقتصر على البريطانيين فحسب بل تم إرسال بعثات (إرساليات) ألمانية ونمساوية أخرى للعمل في السودان وذلك في عام ١٩٠٠م كان الهدف منها نشر المسيحية في غرب أفريقيا ؛ بالإضافة إلى إنشاء مركز تنصيري في مدينتي حلفا و دنقلة في شمال السودان للعمل بين(قبائل البشارية)[٢] ـ في شمال شرق دنقلة ـ وقد عُرفت هذه الإرساليات فيما بعد بـ (بعثة السودان المتحدةSudan United Mission) إذ ذهب مؤسسها

(1) Toniolo., F.S.C.C., The first Centenary Of The Roman Catholic Mission Central Africa.,1846—1946 In Sudan Notes And Records.,Vol.XXVII,.1945.,P.II.,P.99 .

(٢) قبائل البشارية : وهي قبائل تقع شرق السودان تنتشر على المنحدرات الشرقية للبحر الأحمر ، كان الحكم المصري رفيقاً بقبائل البشاريين ولم يحاول قهرهم أو السيطرة التامة عليهم ، لكن لما قام معظم أبناء تلك القبائل بحركة عصيانية منتهزين انشغال (أحمد باشا أبو ودان) (١٨٣٨–١٨٤٣م) ـ حكمدار السودان . في حرب التاكة ضد الهدندوة ، وردت رسالة تركية من الجناب العالي خديو مصر إلى حاكم بربر ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م بالقضاء على بعض عربان البشارين المتمردين فقام الشيخ سليمان نمر العبادي من بربر على رأس قوة عسكرية تقدر بنحو ألفي جندي بتكليف من حكمدار السودان بالقضاء على حركة البشاريين ، لكن البشاريين تمكنوا من قتل سليمان وجنوده في هجمة فجائية ؛ محافظ أبحاث السودان ، المحفظة ٦، المجموعة ٥٧٥، الملف ٥، الدفتر رقم ١٦، معية تركي ، ترجمة المكاتبة التركية ، الوثيقة رقم ١٤٠، من الجناب العالي إلى حاكم بربر ، بتاريخ غرة جمادي الأول سنة ١٢٥٤هـ .

الدكتور كارل كوم(Car Kum) ـ أحد أعضائها الناشطين ـ إلى الخرطوم في عام ١٩١٠م من أجل القيام بالتنصير، كما بعثت الحكومة النمساوية مُنصريها من أجل نشر المذهب الكاثوليكي في شمال السودان وبخاصة في مدينة الخرطوم(١) .

وقد شجعت الحكومة البريطانية نشاط الإرساليات التنصيرية في السودان من جميع الجوانب بعمليات التنصير منذ البداية ؛ فكان الكاثوليك يعملون بتأييد من الحكومة النمساوية ، و فريق يدعي (أعضاء الكنيسة الكبرى) كان يعمل بتأييد عدد من الأساقفة ذوي النفوذ البريطانيين ، وكذلك بعثة (مبشري الكنيسة) وغيرها ممن اندفعوا في هذه الحركة التنصيرية الواسعة (٢) حيث بذلت تلك الحكومة البريطانية أقصي جهودها في التمكين للإرساليات التنصيرية من أداء عملها وتحقيق أهدافها المنشودة ، وضرب نوع من العزلة بين الشمال والجنوب ، ومنحت الحكومة تلك الإرساليات مساعدات كبيرة لكي يتولوا أمر التعليم الإرسالي في الشمال (٣) .

ومن جهة أخرى سعت الحكومة البريطانية ؛ فضلا عن تشجيعها للإرساليات التنصيرية إلى إثارة الخلافات القبلية إذ قامت بتقسيم سكان البلاد إلى أعراق مختلفة عربية وغير عربية ، وشجعت في الوقت نفسه على استبدال اللغة

---

(١) محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، ترجمة أسعد حليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٥٢.

(2) F.O.,403/299.,No.6.,Further Correspondence Respecting Affairs In North East Africa And The Sudan., Report From Cromer To Salisbury.,Part.IV.,1900.,P.3.

(٣) محمد أبو محمد إمام ، دور الإرساليات التبشيرية في مشكلة جنوب السودان ، قراءة في تقرير وزارة الداخلية السودانية ـ مارس ١٩٦٤، مجلة القلزم للدراسات التاريخية ، العدد ١٣، عام ٢٠٢٢م ، ص ١٣.

العربية بالإنجليزية كلغة رسمية ، كما أعطت بريطانيا الإرساليات التنصيرية صلاحيات كبيرة في رسم السياسة التعليمية والصحية والاجتماعية في شمال السودان [١] .

فقد أسس المُنصرون البريطانيون مدرسة للبنات في الخرطوم كنواة لمدارس أخرى أنشئت في الخرطوم بحري وأم درمان وذلك لاتخاذها وسيلة للترويج للديانة المسيحية في أماكن أخرى في الشمال ، كما أسس المُنصرون الأمريكيون مدرسة للبنين في الخرطوم نفسها ووسع كل من البريطانيين والأمريكيين جهودهم التنصيرية من خلال التعليم ؛ فضلا عن استعمل البريطانيين أسالياً مختلفة من أجل الترغيب باعتناق أهالي الشمال التنصير حيث أعطت الحكومة البريطانية المُنصرين إعانة من ميزانية السودان مساعدة لهم وذلك لتعليم الإرساليات وفتح مدارس في الخرطوم و أم درمان ، كما كان المُنصرون البريطانيون يحملون أعباء أساسية في إدارة المدارس التنصيرية في الخرطوم بل في أنحاء أفريقيا البريطانية [٢] .

وبناءً على ذلك كان (ترمنجهامTrimingham)[٣] (١٩٠٤ـ ١٩٨٧م) ـ المستشرق البريطاني ـ حريصاً على السماح بتأسيس مراكز مسيحية من بناء المدارس وكنائس في الشمال حتى يصير للمسيحية في الجنوب نقطة ارتكاز حينما تندفع في اتجاه الشمال ، وتأسيس مراكز مسيحية من المدارس أيضاً في مناطق الأراضي الحدودية التي يتصل فيها الإسلام بالمسيحية .

---

(١) توفيق المديني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨.

(٢) مصطفى خالدي ، عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العصرية ، حيدا ، بيروت، ١٩٥٣م ، ص ص ٢٣٨/٢٣٧ .

(3)Trimingham.,J.S.,The Christian Approach To Islam., Oxford University .,1948.,P.50.

ففي عام ١٩٠٠م كرس كل من المنصرين البريطانيين و الأمريكيين جهودهم في السودان واتخذوا لهم مراكز في الخرطوم وأم درمان ،غير أن التنصير بين المسلمين ظل ممنوعاً خاصة بعدما أعيد إخضاع السودان للحكم الثنائي بين مصر و بريطانيا بشأن إدارة السودان تحت إدارة الحاكم العام البريطاني السردار كتشنر (Kitchener) ـ أول حاكم للسودان بعد استرداده من المهدية في (يناير ١٨٩٩ـ نوفمبر ١٨٩٩م) ، وتولي بعده وينجت(Wingate) والذي تولى من (ديسمبر ١٨٩٩ـ ديسمبر ١٩١٦م) [١] .

وقد رفضا كل من كتشنر ووينجت في بادئ الأمر السماح بالتنصير في شمال السودان خوفاً من رد فعل المسلمين ، وقيام دولة حديثة العهد عقب ثورة المهدي من جهة ، وعدم رغبة الحكومة البريطانية في عرقلة أعمالها السياسية في معظم المناطق التي كانت قد بسطت عليها نفوذها من جهة أخرى خاصة وأن ظهور حركة المنصرين مسفرين عن وجوههم قد يضر بالسياسة البريطانية ضرراً بالغاً [٢] .

وعلاوة على ذلك رفض (كرومر Cromer)(١٨٨٣ـ ١٩٠٧م) ـ المندوب السامي البريطاني في مصر و كتشنر و وينجت في بداية الحكم الثنائي رفضاً باتاً السماح بالتنصير في شمال السودان اعتقاداً منهم بأن المنصرين معرضين لارتكاب الأخطاء و الحماقات لعدة أسباب منها: إثارة مشاعر أهل الشمال ، وإثارة الشكوك ، وخلق مشكلات خطيرة للإدارة البريطانية في السودان ، و أن السماح لهم بالتنصير دون وضع قوانين وضوابط سيكون مادة يستغلها الدعاة

(١) وثائق عابدين ، محافظ السودان ، المحفظة ١٠٥، المجموعة ٢٠٠، الملف ٥٤، كتيب خاص بالاتفاق الممضي بالقاهرة بشأن إدارة السودان ، بتاريخ ١٩من يناير سنة ١٨٩٩م ، الكود الأرشيفي /٠٠٢١٠٥-٠٠٦٩.

(٢) مصطفى خالدي ، د/ عمر فروخ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٧.

المسلمين بين الموظفين المصريين في السودان لخلق المتاعب ، فلهذه الأسباب السابقة اعترض كرومر وكتشنر على عدم السماح للإرساليات بالتعليم والتنصير في شمال السودان ، وحرصهم على إقامة توازن دقيق بين كافة رعايا السودان من المنصرين و المسلمين على حدٍ سواء [١] .

وإزاء هذه السياسة وهذا الموقف من الحكومة البريطانية متمثلة في كرومر وكتشنر ومن بعدهما وينجت بالاعتراض على التنصير في السودان ، اتخذت الإرساليات التنصيرية في مواجهة هذه السياسة موقفاً عنيفاً ومضت تؤكد أن المسيحية هي الدين السائد بين شعب السودان لمدة قرون عديدة ، وأن فتح السودان و استرداده يُعدَّ فرصة لإعادة الديانة المسيحية إلى منطقة السودان التي انتشرت به منذ البداية [٢] .

والجدير بالذكر أنه بعدما تمكنت سلطات الحكم الثنائي من وضع يدها تماماً على السودان لم تشأ أن تفتح الباب للتنصير في شمال السودان مرة واحدة خوفاً من رد فعل المسلمين ، ولكن تنازلت الحكومة البريطانية تدريجياً عن تمسكها بعدم السماح للإرساليات بالتنصير في شمال السودان ؛ فقد أباحت التنصير للإرساليات النمساوية و الأمريكية و الإنجليزية وذلك عن طريق فتح الباب للإرساليات في أمر التعليم مبتدئة بمدينة الخرطوم وبدأ التنازل خصوصاً بعد مجيء القس(قوينQween)[٣] إلى السودان في عام ١٩٠٠م ؛ فبفضل هذا

(١) محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، ص ص ٥٣.٥٤ .

(2)Trimingham .,J.S.,Op.Cit.,P.12. (3)

(٣) قوين : هو أول أسقف ومطران لكنيسة الخرطوم الجديدة وممثل للكنيسة البريطانية في السودان وبذلك أصبح تطور الكنيسة البريطانية منذ البداية مرتبطاً بشخصية قوين الذي كان من أبرز أعضاء جمعية التنصير(CMS)، وقد كان قوين يعمل لمصلحة ولائه فقد وافق عندما طلب منه كرومر في عام ١٩٠١م جمع أموال لبناء الكنيسة البريطانية في =

القس بذرت نواة المؤسسات التعليمية الحديثة للهيئات الكنيسية إلى أن نمت وأصبحت تقدم خدماتها في الخرطوم عن طريق الإرساليات التنصيرية [١] .

ومن جهة أخرى كانت الدوائر الوطنية المصرية يقظة لأي نشاط تنصيري في السودان " فقد حذر مصطفى كامل في جريدة اللواء في أبريل عام ١٩٠٠م من البعثات التنصيرية التي سافرت إلى السودان بهدف تغيير العقائد فيه ، ونشر الدين المسيحي بين السودانيين وقد اختتم مقالة بدعوة قوية لافتتاح اكتتاب علني لإرسال بعثة إسلامية إلى السودان لتجابه عمل البعثات التنصيرية هناك " [٢] .

وبناءً على ذلك علل كرومر في تقريره السنوي لعام ١٩٠٤م عن أسباب رفض كل من كتشنر ووينجت " بأنه لا يمكن نشر التنصير في شمال السودان إلا بإتباع سياسة معينة وهي الحفاظ على الوضع الطبيعي الذي كان يعيشه أبناء السودان قبل ذلك ، ورأت بريطانيا أن الإسلام وتعاليمه لا يتماشى مع رفاهية وطموح السودانيين ، فقد عملت بريطانيا على إقناع المسلمين في الشمال بأن الإرساليات التنصيرية هي أداة الدولة العلمانية [٣] .

وكان كرومر حريصاً على عدم السماح لهذه الإرساليات التنصيرية بالتوغل بين المناطق الإسلامية في السودان مع عدم اعتراضه على منح

=

الخرطوم وذلك لعلمه أن هذا يعزز خدماته التي يقدمها لجمعية التنصير والتي وافقت على تعيينه رئيساً للأساقفة في السودان في عام ١٩٠٥م ؛ يراجع : جبرائيل وير بيرق ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢١٥-٢١٧.

(١) حسن مكي محمد أحمد ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، الخرطوم ، ١٩٨٣، ص ٨ .

(٢) جريدة اللواء ، العدد ١٠٦، ٢٣ /٤/ ١٩٠٠م .

(٣) تقارير كرومر ، تقارير عن الحالة المالية و الإدارية والحالة العامة في مصر و السودان ، التقرير السنوي لعام ١٩٠٤م ، ترجمة حكومة السودان ، عام ١٩٠٥م ، ص ٤٨ .

المُنصرين حقلاً مفتوحاً للعمل بين القبائل الوثنية في الجنوب خاصة ، كما أُعتُبِر أن كرومر قد أكد ذلك في خطابه لمشايخ السودان بالخرطوم وأم درمان في يناير عام١٩٠٥م بعدم التدخل في شئونهم الدينية ؛ لأنه كان يعلم تماماً أن السماح بالعمل لمثل هذه الإرساليات في الشمال سوف يثير ثائرة الشعب السوداني المتشدد في صون دينه إلي أقصي حد (١) .

وقد غفل هذا الرأي أن كرومر عقب زيارته للسودان ١٩٠٥م سمح لجمعيات التنصير بفتح مدرسة لها في الخرطوم على ألا يدرس أبناء المسلمين حصص التربية المسيحية ، كذلك تساهلت الحكومة السودانية في القرار بمنع الإرساليات من القيام بالتنصير السري في أوساط المسلمين ، بل سمح كرومر لجمعيات التنصير بأن تقوم بتعليم الإرساليات بين أوساط الموظفين التابعين لجمعيات التنصير في نطاق تلك الإرساليات (٢) .

وفي الوقت ، نفسه أشارت أحد الوثائق البريطانية بأن كرومر شجع حركة تلك الإرساليات التنصيرية بعدما قدَّمت الحكومة البريطانية امتيازات لتلك الإرساليات من قبيل المساعدة لها للقيام بنشاطها في شمال السودان مثل تخفيض أجور السفر لأعضائها في السكك الحديدية و البواخر النيلية خاصة وأن المُنصرون ـ علي حد تعبير كرومرـ كانوا شديدي الجهل بالفرق بين شمال السودان وتلك الأجزاء من أفريقيا التي يسكنها غير المسلمين (٣) .

(١) محمد عبد الحميد الحناوي ، دراسة في التقارير الرسمية للمعتمدين البريطانيين عن السودان ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٧م ، ص ١٠٧.

(٢) جبرائيل وير بيرق ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٤.

(3) F.O.,407.,164.,No.83.,Further Correspondence Respecting The Affairs Of Egypt And The Sudan .,Part. LX III.,1905.,P.198 .

ومهما يكن من أمر فقد كانت السياسة البريطانية تهدف من وراء السماح لهذه الإرساليات بالعمل في السودان تحت ستار التعليم أن تهيئ لها تلك الإرساليات النفوس لإدارة حسنة تخدم أهداف السياسة البريطانية .

ولذلك لم يكن أمام رجال الإرساليات التنصيرية سوي أن يقوموا بالدور المرسوم لهم وفي المناطق المحددة لهم فقط دون غيرها ؛ فالساسة البريطانيين يعرفون تماماً ما تريده منهم بلادهم ، كما كان هدف الإرساليات الأساسي هو نشر التنصير في شمال السودان ، وتخليهم عن دياناتهم البدائية ، وكان ذلك التحول يستوجب بالضرورة فترة من الوقت للتعايش معهم وخلق إطار من المودة و الألفة معهم [١] .

وبالرغم من ذلك استثنى كرومر من شمال السودان (مدينة الخرطوم) بسماح التنصير فيها ؛ فكان قد سبق بأن اعترض كل من كتشنر ووينجت على عدم السماح للإرساليات بالتعليم والتنصير في شمال السودان ، وبرر كرومر بسماح التنصير في مدينة الخرطوم لأن سكانها ليسوا جميعاً مسلمين بل فيها الكثير من المسيحيين مستوطنون فيها وهم من طوائف مختلفة [٢] .

كما أن الخرطوم مركزاً للحكومة السودانية مما يسهل فيها مراقبة أعمال المنصرين ، إلى جانب اختلاط سكانها المسلمين برجال الحكومة مما يسهل عليهم إدراك مقاصدها أكثر من سكان الجهات البعيدة ، كما أن الحاجة ماسة

(١) محمد عبد الحميد الحناوي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٨.

(2) F.O.,407,165.,No.143.,Further Correspondence Respecting The Affairs Of Egypt And

إلى تعليم أولاد المسلمين و المسيحيين ولم تستطع الحكومة أن تلبي كل ما كان يطلبه الأهالي من هذا القبيل ولذلك أبيح للإرساليات إنشاء مدارس لأبناء المسيحيين في الخرطوم [١] .

ومن هذا المنطلق لم يستثن كرومر من قرار الحرمان في شمال السودان من النشاط التنصيري سوى مدينة الخرطوم في البداية ثم امتد بعد ذلك هذا الاستثناء ليشمل (مدن حلفا وعطبرة)[٢] وبعض المدن الكبيرة ، وعلى ذلك فقد مارس المنصرين نشاطهم في بداية الحكم الثنائي في الخرطوم وفق شروط وسياسة معينة التزمت كل مدرسة من مدارس الإرساليات في العاصمة السودانية بالخرطوم بتنفيذها [٣] .

وقد اتخذت الحكومة البريطانية تجاه المدارس التنصيرية الأمريكية وغيرها من الإرساليات الأجنبية سياسة معينة طبقتها في أعمال المدارس التنصيرية ، وعن هذه السياسة كتب كرومر في تقريره السنوي لعام ١٩٠٦م " بأن أبيح

The Sudan .,Part. LXIV., 1906.,P.194.

(١) السيد سمير عبد المقصود ، التعليم في عهد الحكم الثنائي الأول في السودان (١٨٩٩-١٩٢٤م) ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٠م ، ص ٧٥.

(٢) مدن حلفا وعطبرة : فمدينة حلفا فهي بلدة قديمة تقع في أقصى شمال السودان وتستقر فيها جماعات من التجار والمسافرين ، ويسكنها عدد من المصريين وسكانها من السودانيين من قبائل الدناقلة والنوبيين والشايقية ، وأما مدينة عطبرة : فتقع في ولاية النيل شمال شرق السودان ؛ يراجع : د/ عبدالله علي حامد العبادي ، أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية، ١٩٧٥م ، ص ١١.

(٣) د/ يونان لبيب رزق ، السودان في عهد الحكم الثنائي الأول(١٨٩٩-١٩٢٤م) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ٣١١.

للمنصرين أن ينشئوا مدارس لهم في الخرطوم ولمديري هذه المدارس أن يعلموا فيها ما يشاؤون من أنواع التعاليم الدينية ، ولكن الحكومة البريطانية كانت توجب علي مديري المدارس بأن يخبروا آباء التلاميذ المسلمين والمسيحين الذين ليسوا من طوائفهم بالعلوم التي تُعَّلم في مدارسهم قبل أن يرسلوا أبنائهم إليها وذلك عن طريق إنشاء نظام للتفتيش على مدارس الإرساليات التي التحق بها أطفال مسلمون وقد وضعت الشروط اللازمة لذلك"[١] **وهي:**

١ـ على كل مدير مدرسة من مدارس الإرساليات قبل قبول تلميذاً مسلماً في مدرسته التحقق من أن والده أو ولي أمره يعلم أن المدرسة مسيحية .

٢ـ على كل مدير مدرسة أن يحصل على الموافقة التامة من والد التلميذ أو ولي أمره مهما كانت جنسيته أو ديانته قبل تعليمه علوم الدين .

٣ـ لا يحضر الدروس الدينية إلا التلاميذ الذين وافق آباؤهم على الشرط السابق.

٤ـ للحاكم العام أو من ينوب عنه حق تفتيش المدرسة في أي وقت شاء للتحقيق من تنفيذ الشروط السابقة ومسئولية مدير المدرسة في المحافظة على تنفيذها.

٥ـ إذا أخل مدير المدرسة بتلك الشروط فلا يسمح له بفتح المدرسة أو إدارتها[٢].

ويبرر كرومر هذه السياسة بأن الحكومة البريطانية كانت تقرر الحرية التامة في أعمال المنصرين ، وكذلك الحرية الدينية التامة في موقف الأهالي

(١) تقارير كرومر ، تقارير عن الحالة المالية و الإدارية والحالة العامة في مصر و السودان ، التقرير السنوي لعام ١٩٠٦، ترجمة المقطم ، ١٩٠٧م ، ص ٢٢٨.

(2) F.O.,407.,170.,No.33,Further Correspondence Respecting The Affairs Of Egypt And The Sudan., Part .LXIII.,1907.,P.165.

السودانيين منهم، وتعامل الجميع بالإنصاف التام في كل المسائل الدينية على حد سواء [١] .

كما أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني وهو روبرتسون(Robertson) طلب من وزير الخارجية البريطانية إدوارد جراي(Edward Gray) في عام ١٩٠٧م أن تمتنع حكومة السودان من تشجيع البعثات التنصيرية في شمال السودان حتي لا ينقسم أهالي السودان إلى قسمين متناقضين وحتى يمكن تجنب الشعب السوداني الذي لا زال ينهض من حالة التأخر [٢] .

لكن برزت بريطانيا بشكل واضح في تشجيع الإرساليات التنصيرية للتوجه إلى السودان بحجة التعليم والصحة ، وركزت وجودها في شمال السودان فأنشأت المدارس والمستشفيات لممارسة نشاطها التنصيري ؛ فضلا عن تحقيق الأهداف السياسية التي كانت تسعى لها الحكومة البريطانية كما سنري بين ثنايا البحث .

(١) عطيات البشير، أساليب السياسة الإدارية البريطانية في جنوب السودان (١٨٩٩ـ ١٩٢٠م) ، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية ، العدد ٥ ، جامعة عمار ثليجي الأغواط ، الجزائر ، ٢٠١٨م ، ص ٢٢.

(2) Parliamentary Debates., Official .,Report .,House Of Commons.,Vol.173., Sessioms., 1907.,P.267.

المبحث الثالث

الإرساليات التعليمية التنصيرية في الشمال

١ـ البعثة (الإرسالية) الكاثوليكية النمساوية:

تتبع هذه الإرسالية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وهي من أقدم الإرساليات التنصيرية في السودان عامة ؛ ويرجع تاريخ هذه البعثة إلى منتصف القرن التاسع عشر تحديداً في عام ١٨٤٣م حيث بدأت نشاطها عن طريق فتح مدرسة داخلية في مدينة الخرطوم تحت إدارة " لويجي منتوري " كما سبق أن ذكرنا في بداية البحث ؛ كما أن المحاولة التي لاقت حظاً أكبر من النجاح فهي التي قام بها دانيال كمبوني(الإيطالي) والذي وصل إلى مدينة الخرطوم مع جماعة من المنصرين في عام ١٨٧٣م حيث امتدت جهوده إلى جبال النوبة وشرق السودان ، ومما يسر له ظروف العمل أن الخديو إسماعيل(١٨٦٣-١٨٧٩م) منحه صلاحيات واسعة للعمل حيث اعتبره مفوضاً رسمياً لمحاربة تجارة الرقيق ، وبدأت طلائع مجهودات كمبوني تظهر خاصة في النواحي التعليمية لتلك الإرسالية الكاثوليكية [١] .

ومما يلفت للنظر أن لأعضاء البعثة الكاثوليكية في الخرطوم أثرها الكبير في ميدان التنصير والكشوف الجغرافية والتعمير، وتعليم تلاميذها ، وتعليم عدد من الأهالي بعض الصناعات المهمة ، فقد كانت تضم دائما بين رجالها صناعاً مهرة في سائر الفنون [٢] .

وكان أهم ما يميز وجود الإرسالية الكاثوليكية في السودان الأسبقية التاريخية في الوصول إلى السودان بصفة عامة وإلى ولاية الخرطوم بصفة

(١) حسن مكي محمد أحمد ، المشروع التنصيري في السودان ، ص ١٤٢.

(٢) أحمد أحمد سيد أحمد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٨.

خاصة حيث وفرت هذه الأسبقية قاعدة عريضة من الخبرات في مضمار التعامل مع السكان المحليين ، والتركيز على التعليم خاصة وأن الإرسالية الكاثوليكية منذ دخولها إلى السودان نشطت في مجال التعليم في كل منطقة وطأتها أقدامها وخاصة في مدينة الخرطوم بشمال السودان حيث أعاد المطران (كمبوني) فتح مدرسة الإرسالية بالخرطوم في عام ١٨٧٣م وجلب لها عدداً من السودانيين والسودانيات للعمل بها بعد أن تخصصوا في مصر وفي أوروبا ، وتشييد مدرسة الراهبات للبنات على النيل بالخرطوم في عام ١٨٧٥م ، كما قام كمبوني بتشييد كنيسة الرسولين "بطرس" و" بولس " بامتداد الدرجة الثانية بالخرطوم إلى أن توفي بها في ١٠ أكتوبر عام١٨٨١م، ودفن في حديقة الإرسالية [١] .

وفي هذا العام قامت الثورة المهدية فدمرت كل مؤسسات تلك الإرسالية ، وبعد سقوط الخرطوم على أيدي المهديين توقف النشاط التنصيري تماماً وذلك نظرا لتدمير المهديين معظم مؤسسات الإرسالية الكاثوليكية ، ولم تعاود تلك الإرسالية نشاطها إلا بعد استرداد البريطانيين للسودان ودخول الجيش المصري والبريطاني السودان ١٨٩٨م ، وقد حرصت بريطانيا ودول أوروبا على القضاء على دولة المهدية وحركتها في السودان لأنها تصدت لحركة التنصير في السودان بقوة وبفكر سديد ومقنع ، ولم يكن لمصر في هذا الوقت إرادة حره وذلك نظرا لوقوعها في قبضة الاحتلال البريطاني[٢] .

(١) كمال محمد جاه الله ، مقال بعنوان / الوجود الكنسي في السودان قبل انفصال الجنوب ، طوائفه وإمكاناته في مجال التنصير ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، العدد ٢، المجلد ٨ ، ٢٠١٣م ، ص ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) أحمد محمد الطاهر سليمان ، السودان خلال الحكم الثنائي (١٨٩٩- ١٩٢٤م) ، الطبعة الأولى ، دار مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠١٩م .

وهكذا كانت البعثة الكاثوليكية النمساوية أول البعثات التي عادت إلى شمال السودان في ركاب جيوش استرجاع البلاد من أيدي المهديين، فلما عادوا للشمال وجدوا أبنيتهم وكنيستهم قد تهدمت نتيجة لأحداث الثورة المهدية فآثروا استئناف نشاطهم التنصيري في مناطق الخرطوم وأم درمان ، وأقاموا لهم مراكز بأعالي النيل بجنوب السودان في فاشودة (١) .

ومن ثم فقد بدأ (المونسنيور روفجيو Monsignor Rovoggio) أسقف الخرطوم مع جماعة مختارة من المنصرين ليستأنفوا عملهم في إطار التوجيهات من الحكومة السودانية آنذاك وانحصر نشاطهم في الشمال وبخاصة مدينة الخرطوم في خدمات الرعاية والتعليم التنصيري (٢) .

فمع بداية الحكم الثنائي بين مصر و بريطانيا لإدارة السودان عام ١٨٩٩م بدأ التاريخ الجديد لتلك الإرسالية خاصة عندما منحها(كتشنر) ـ حاكم عام السودان ـ قطعة أرض واسعة على النيل وظلت تلك الإرسالية تنتشر حتى صار لها مراكز عديدة في مدينة الخرطوم ؛ أهمها المؤسسات التعليمية الكاثوليكية ، والكنائس الكاثوليكية الرسمية، بالإضافة إلى المؤسسات الاجتماعية و الصحية و المراكز التجارية التابعة للكنيسة الكاثوليكية ، استطاعت من خلالها مخاطبة الشعب السوداني(٣).

(١) محمد عبد الحميد الحناوي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٨.

(2) Wallis Budgo.,E.A.,The Egyptian Sudan,Its History And Monuments .,Vol.II,London1907.,P.321.

(٣) السيد سمير عبد المقصود ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٩.

وقد ظلت تلك المراكز التجارية معافاه من دفع الرسوم الجمركية خاصة بعدما صدر قراراً في أكتوبر عام ١٩٠١م بالإعفاء الجمركي الممنوح على واردات إرسالية الجمعية التنصيرية النمساوية في السودان (١) .

وبعدما وصلت أول دفعة من المنصرين الكاثوليك والراهبات من جمعيات كمبوني فتحوا مدرستين للبنين والبنات في أم درمان أولا عام ١٩٠١م ، ثم بالخرطوم وذلك في عام ١٩٠٢م (٢) .

ففي عام ١٩٠٣م كرست تلك الإرسالية جهودها لاستقطاب بنات المسلمين في مدارسها ، ومشاركة معظم بناتها في تلقي دروس التربية المسيحية رغم رفض معظم الآباء لذلك ، ولكن بوجه عام كانوا البنات يحضرن حصص التربية المسيحية ، كما أنشأت تلك الإرسالية مدرسة للبنين في الخرطوم بحري في عام ١٩٠٦م ، وشملت هذه المدارس جميع المراحل التعليمية ، ومعظم الطلاب بمدارس الإرسالية من السودانيين ، وكانت تلك المدارس تقوم بتدريس اللغة الإنجليزية منذ البداية ، والتي كانت تهدف إلى تعليم يقوم على أساس وتفكير مسيحي (٣) .

ونتيجة لذلك نشرت إحدى الصحف المصرية مقالاً في ديسمبر ١٩٠٦م ادعت فيه بأن المدارس الإرسالية بالخرطوم كانت تحاول أن تبث التنصير بين

(١) أرشيف وزارة الخارجية المصرية ، محافظ السودان ، المحفظة ٨٥، الملف ٢، المجموعة ١/٢٠٠٦ ، الإعفاء الجمركي الممنوح على واردات إرسالية الجمعية النمساوية في السودان ، أكتوبر ١٩٠١م حتى مايو ١٩٢٥م ، الكود الأرشيفي /٠٠١٤٨١ـ ٠٠٧٨.

(٢) محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، ص ١٠٧.

(٣) جيوفاني فانتيني ، المسيحية في السودان ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان الأهلية ، السودان ، ١٩٩٨م ، ص ٦٥، يراجع أيضاً: جبرائيل وير بيرق ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٢٤ـ ٢٢٥.

الفتيات المسلمات ، وقد أقنع هذا المقال كرومر والسلطات السودانية بتطبيق نظم صارمة علي مدارس الإرساليات للقضاء على مخاوف السودانيين ؛ فقد اتهم هذا المقال المسئولين عن تعليم البنات في مدارس الإرساليات الكاثوليكية بنقضهم للعهد مع الآباء المسلمين الذين كانوا يحضروا بناتهم حصص التربية المسيحية على الرغم من التعهد بإعفائهن من ذلك (١) .

ولاشك في أن لتلك الاتهامات ما يبررها وأن السلطات السودانية كانت تعلم حقيقة الموقف والتي سمحت لتلك الإرسالية بفتح مدارس لها في الشمال ، ولم يستطع " قوين" ممثل الكنيسة الكاثوليكية في الخرطوم أن ينكر ذلك الاتهام ، ولكنه صرح بأن ذلك المقال يمثل وجهة نظر الأقلية من المصريين بدافع واحد وهو إثارة مشاعر معادية للبريطانيين ، لذلك اقترح " قوين " بأن يفتح المصريون المسلمون مدرسة لبناتهم المقيمون في مدن السودان ما دام أن الحكومة السودانية ليس لديها دعم لفتح مدرسة لهم خاصة بعدما تقدم عدد من الآباء المصريين و السودانيين بعريضة للحكومة مطالبين بتأسيس مدرسة للبنات ، كما قامت اللجنة الإدارية للإرسالية الكاثوليكية بفرض تفتيش على كل مدارس الإرسالية ، ووضعت شروطاً صارمة لتيسير عمل المدارس ، منها ألا يسمح للأطفال بحضور دروس التربية المسيحية بدون موافقة كتابية من والديهم (٢) .

ومهما يكن من أمر فقد اهتمت الإرساليات الكاثوليكية بتعليم البنات ، وسمحت قلة من السودانيين لبناتهم بالالتحاق بمدارس تلك الإرسالية .

ففي يناير ١٩٠٧م قام (فيبسPhipps) ـ السكرتير الإداري لحكومة السودان ـ بجولة تفتيشية على مدارس الإرسالية ، وكشف تقريره الذي أعده أن

(١) جريدة المؤيد ، العدد ٥٠٤٣، بتاريخ ١٢/١٧/ ١٩٠٦م .

(٢) تقارير كرومر ، تقرير مصلحة المعارف ، تقرير عن المدارس التنصيرية في شمال السودان ، التقرير السنوي لعام ١٩٠٦، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٢٨ـ ٢٢٩.

كل أبناء المسلمين في المدارس الكاثوليكية مُعفون من التربية الدينية المسيحية ، ولكن كان هناك حوالي (١١) تلميذاً مسلماً في المدارس البريطانية البروتستانتية، (٥٩) تلميذه مسلمة في مدارس الإرساليات الكاثوليكية للبنات يتلقون تعليماً دينياً مسيحياً [١] .

وقد ورد في التقرير السنوي لعام ١٩١٢م بيان عدد المدارس والتلاميذ التابعة للبعثة الكاثوليكية في مدينة الخرطوم و(أم درمان)[٢]؛ كما موضح بالجدول الآتي :

أماكن المدارس	عدد المدارس		عدد التلاميذ		جنسيات التلاميذ		
	بنين	بنات	بنين	بنات	وطنيين	مصريين	جنسيات أخرى
الخرطوم	١	١	٨١	١١٠	١٤	٩٢	٨٥
أم درمان	١	١	٤١	٥٣	٢١	١٨	٥٥
المجموع	٢	٢	١٢٢	١٦٣	٣٥	١١٠	١٤٠
الإجمالي	(٤) مدارس		(٢٨٥) [٣]				

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٩.

(٢) أم درمان : كانت مدينة أم درمان عاصمة المهديين وهي مدينة متسعة طويلة تمتد غرب النيل شمالا وجنوباً حيث امتد نشاط المصريين إلي التوسع العمراني لتلك المدينة ، فأنشأوا بها المباني بطريقة تتفق مع قواعد الصحة وفن الهندسة ؛ محافظ أبحاث السودان ، المحفظة ١٩، المجموعة ٢٣٧، الملف ٢، الدفتر رقم ٥٥٨، الوثيقة رقم ٩، ترجمة الإرادة الصادرة إلى حكمدار السودان ، ص ١٩، بتاريخ ٢٣من شوال سنة ١٢٨٣هـ .

(٣) تقارير كتشنر ، تقارير عن الحالة المالية والإدارية والحالة العامة في السودان ، تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف ، سنة ١٩١٢م ، ترجمة حكومة السودان ، ١٩١٣م ، ص ص ١٢٨. ١٢٩.

ويتضح لنا من الجدول السابق بأن بلغ إجمالي مدارس البعثة الكاثوليكية في كلٌّ من الخرطوم و أم درمان حوالي (٤) مدارس وذلك في عام ١٩١٢م ، وعدد تلاميذها (٢٨٥) تلميذ وتلميذه ، كما نلاحظ أن الطلاب سواء بنين أو بنات معظمهم من المصريين أو من الجنسيات الأخرى فنجد أن الوطنيين السودانيين بلغ عددهم (٣٥) تلميذاً و تلميذه فقط فلم يكن الأهالي يرحبون دائماً بالنشاط التعليمي للإرساليات فقد خشي زعماء القبائل أن يبعد ذلك النوع من التعليم الإرسالي أولادهم عن التمسك بالوحدة القبلية ؛ أما الجنسيات الأخرى من المصريين أو غيرهم بلغ عددهم (٢٥٠) تلميذاً وتلميذه ؛ وهكذا نجد أن الشعب السوداني كان غير مقبل على تعليم هذه الإرسالية الكاثوليكية .

ومن جهة أخرى نجد أن تعليم البنات في الشمال من جانب تلك البعثة الكاثوليكية كان أكبر من تعليم البنين ، ويرجع السبب في ذلك احتكارهم لهذا النوع من التعليم في الخرطوم طوال فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وسجل (جورست Gorst) ــ المعتمد البريطاني في مصرـ هذه الحقيقة في تقريره لعام ١٩١٢م " إن الإقبال على مدرسة البنات في الخرطوم التابعة لتلك البعثة في ازدياد مستمر مما دعا هذه البعثة إلى بناء مدرسة جديدة في أم درمان " [١] .

وفي مديريات المسلمين في شمال السودان بلغ عدد مدارس الإرسالية الكاثوليكية في عام ١٩١٢م حوالي (١٧) مدرسة تضم ما يقارب من (١٠٠٠) تلميذ ، وكان ممثلو الحاكم العام يقومون بجولات تفتيشية منتظمة علي مدارس تلك الإرسالية ، كما كان لا بد من موافقة السلطات الحاكمة على مقررات و أعضاء هيئة التدريس في مدارس الإرسالية النمساوية [٢].

(١) يونان لبيب رزق ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣١٢.

(٢) جبرائيل وير بيرق ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٦.

٢ـ البعثة(الإرسالية) الأمريكية :

يعود اهتمام الولايات المتحدة بممارسة النشاط التنصيري ـ تحت ستار ـ التعليم في البلاد العربية إلى الوقت الذي نزعت فيه الحركة التعليمية في الولايات المتحدة إلى عدم الاستقرار داخل حدودها وأخذت تتجاوزها إلى المناطق التي لم تتهيأ لها الفرصة للأخذ بأساليب الحضارة الحديثة ، وإنشاء نظم تعليمية خاصة بها ، وكان من بين تلك المناطق السودان باعتباره جزء من ولاية مصر فالرعايا الأجانب المتمتعون بالامتيازات الأجنبية في مصر يسري عليهم نفس النظام المُتبع في السودان ، وكانت الولايات المتحدة هي إحدى الدول التي حصلت على الامتيازات الأجنبية هناك [١].

فمن المعروف تاريخياً أن علاقة الولايات المتحدة بالسودان تبدأ مع أوائل القرن العشرين عقب وصول شخص يدعي الدكتور جيفن وزوجته إلى الخرطوم واجتماعهما بحاكم عام السودان (وينجت) حيث حصلا منه على قطعة أرض قدرت بألفي متر مربع وذلك لإقامة قنصلية أمريكية في الخرطوم تحت شعار المدرسة الأمريكية للبنين و البنات ، وتوالت الامتيازات والمنح للولايات المتحدة في السودان لأغراض شتى منها تشييد الكنائس ، وبناء المدارس والمستشفيات وذلك من أجل الدعوة للتنصير ونشر المسيحية في أنحاء السودان [٢] .

وكانت تلك الإرسالية مكونة من قِبل مجلس الإرساليات الخارجية للكنيسة الموحدة بالولايات المتحدة ١٨٣٧م (The. Board Of Foreign Mission Of The United Presbyterians) ؛ حيث أن بريطانيا أطلقت يد الإرساليات

(١) خالد محمد نعيم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٠ .

(٢) رئاسة مجلس الوزراء ، محفظة السودان ، مذكرة من دار الكتاب الأخضر السوداني ، على أحمد صالح السوداني (مؤرخ حوادث السودان السياسية) إلى أحمد نجيب الهلالي (رئيس مجلس الوزراء) ، في ٦ إبريل عام ١٩٥٢م ، ص ١٥.

التنصيرية الأمريكية بهدف التنصل من التزاماتها، وتنافست تلك الإرسالية من دول أوروبية متعددة مدعومة من حكوماتها من أجل العمل في السودان تحت غطاء التعليم كوسيلة من أجل تغيير عقائد المجتمع السوداني [١] .

كما أن الكنيسة المسيحية الأمريكية كانت قد خصصت مبلغ (٢٥.٠٠٠) دولاراً للعمل التنصيري على امتداد وادي النيل في عام ١٨٨٣م وذلك لامتداد النشاط الامريكي في السودان ، فكان من أبرز نشاط للرعايا الأمريكيين في السودان هو دورهم التنصيري والتعليمي غير أن الحركة التعليمية الأمريكية التي قام بها المُنصرون على اختلاف صورهم من كاثوليك وبروتستانت اتخذت صبغة دينية هدفها محاربة الإسلام في كل هذه المناطق السودانية وبخاصة في الشمال[٢] .

هذه الامتيازات الممنوحة للولايات المتحدة الأمريكية بما فيها القنصلية الأمريكية كانت تخالف (الاتفاقية الثنائية عام ١٨٩٩م)[٣] ، وجميع قوانين حكومة السودان التي تمنع قيام مثل هذه القنصلية ، وهو نفس سبب رفض بريطانيا لإقامة قنصلية لكل من اليونان وإيطاليا بالرغم من مصالحهما المتعددة في السودان فضلا عن رعاياهما [٤] .

(١) خالد مبارك ، التعليم العالي في السودان ، دار الحياة ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٦٠.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، مقال بعنوان / بداية التنصير الأمريكي في وادي النيل ، العدد ٤، المجلد ٩، مجلة الدارة ، مركز دارة الملك عبد العزيز ، ١٩٨٤، ص ٧٧.

(٣) تنص المادة العاشرة من الاتفاقية الثنائية على ألا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل في السودان ، و لا يصرح لهم بإقامة قنصلية به قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية ؛ وثائق عابدين ، المحفظة ١٠٥، مصدر سبق ذكره .

(٤) عبد المعطي البيومي سالم الدريني ، موقف مصر من القوي الوطنية السودانية بشأن وحدة وادي النيل (من يناير إلى يوليو ١٩٥٢م) ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص ٣٧.

والجدير بالذكر كان نشاط الإرسالية الأمريكية الفعلي في السودان في عام ١٨٩٩م عندما رأت الإرسالية الأمريكية في مصر و المسماة بالإرسالية الأمريكية المتحدة (American.United Prespyterian) أن تمد مجالات نشاطها إلى السودان ، وقد وصل مبعوثا الإرسالية (ماكلجولن Mcloughlin) و (جيفنGiffen) إلى الخرطوم و أم درمان و عطبرة في ديسمبر ١٩٠٠م ، وما لبثا أن عادا إلى القاهرة ، وقدما تقريرهما للجمعية التي رفعته بدورها إلى مقرها بالولايات المتحدة مع التوصية ببدء النشاط التنصيري في السودان [١] .

وقد اتخذت تلك الإرسالية الأمريكية مركزاً لها في هذه المراكز الثلاثة (الخرطوم ، أم درمان ، عطبرة) حيث مارست تلك الإرسالية خدمات تعليمية وطبية للسودانيين ؛ إذ أسهمت إرسالية تابعة للكنيسة البروتستانتية في ولاية (بوسطن) الأمريكية بتأسيس مدرستين لتعليم البنات عام ١٩٠٠م إحداهما مدرسة (الراهبات) بالخرطوم وسميت مدرسة (سانت آنSant Ann) (وهي منطقة فرنسية جزرية توجد ضمن مجموعة جزر ليوارد الواقعة في جزر الأنتيل الصغرى) والأخرى في مدينة أم درمان ، وسميت مدرسة (سان جوزيف San Joseph)(وهي مدينة تقع بولاية تينيسي في وسط شرق الولايات المتحدة) [٢] .

وعلاوة على ذلك زاد من نشاط الإرسالية الأمريكية في عام ١٩٠٣م بمجيء(د.سورلين) ـ المنصر الأمريكي ـ إلى السودان عندما اشترى دار الكنيسة الإنجيلية الواقعة شرق مستشفى أم درمان الحكومي، كما أقام فيها أول مدرسة للأولاد في عام ١٩٠٧م ، كما كان من نشاط تلك الإرسالية في المجال التعليمي

(١) يونان لبيب رزق ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) نبيل عبد الحميد سيد ، مقال بعنوان/ النشاط الأمريكي في البلاد العربية حتي عام ١٩٢٣م ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ١٤، المجلد ٢٧، ١٩٨١م، ص ٢٧٣، يراجع أيضا : خالد مبارك ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٠.

بأن انتشرت مدارس لها في مدن الخرطوم ، والخرطوم البحرية (وتقع من الناحية الشمالية لمدينة الخرطوم) ، وأم درمان ، ووادي حلفا (وتقع في الولاية الشمالية السودانية) ، بلغ عدد تلاميذ تلك المدارس في عام ١٩٠٧حوالي (١٤٠) تلميذاً[١].

فقد أنشئت تلك المدارس تحت رعاية الإرسالية الأمريكية والتي بلغ عدد مدارسها مدرستان في كل من مدنية الخرطوم وأم درمان حيث قامت تلك الإرسالية بتعليم ما يزيد عن(١٠٠) تلميذاً من البنين وحوالي (٤٠) تلميذة من البنات [٢] زادت مدارس تلك الإرسالية في عام ١٩٠٩م إلى (٤) مدارس ، كما بلغ عدد تلاميذها إلى (٤٨٦) تلميذاً وتلميذه حيث كان الهدف من فتح تلك المدارس تغيير الفهم التاريخي لدي التلاميذ وأفكارهم وثقافتهم ولغتهم أيضاً [٣] .

وتعزيزاً لما ذهبنا إليه نقتبس ما قاله القس (واطسونWatson) أحد المنصرين الأمريكيين ورائد الإرسالية الأمريكية في عام ١٩١٠م بهذا الصدد (يجب أن نشجع على إنشاء المدارس ، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي لأن الكثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم فيما تعلموا اللغة الإنجليزية ؛ وأن الكتب المدرسية الغربية جعلت الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً) [٤].

---

(١) تقارير غورست ، تقارير عن الحالة المالية والإدارية والحالة العامة في السودان ، التقرير عام ١٩٠٧م ، ترجمة حكومة السودان ، عام ١٩٠٨م ، ص ٧ ، يراجع أيضاً : السيد سمير عبد المقصود ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧.

(2) Sir Edward Grey .,Part.LXX.,1908.,P.122. F.O.,407.,172.,No.37.,Report Sir Gorst To

(٣) تقارير غورست ، تقارير عن الحالة المالية والإدارية والحالة العامة في السودان ، التقرير السنوي لعام ١٩٠٩م ، ترجمة حكومة السودان ، عام ١٩١٠م ، ص ١٠٢.

(٤) د/ نبيل عبد الحميد سيد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٨.

وقد ورد في تقرير ١٩١٢م بأن بلغ عدد المدارس(٦) مدارس ، (٤) مدارس منها للبنين ، ومدرستان للبنات ، وعدد تلاميذها (٣٠٩) تلميذاً وتلميذة ؛ كما هو موضح بالجدول الآتي :

أماكن المدارس	عدد المدارس		عدد التلاميذ		أنواع التلاميذ		
	بنين	بنات	بنين	بنات	وطنيين	مصريين	جنسيات أخرى
الخرطوم	١	ــ	٦١	ــ	٣٥	٢٠	٦
أم درمان	١	ــ	٣٣	ــ	٢٧	٦	ــ
الخرطوم الشمالية	١	١	٥٤	٨٠	٦٨	٦١	٥
عطبرة	١	ــ	٣٦	ــ	٢٤	١٢	ــ
حلفا	ــ	١	ــ	٤٥	١٣	٣٢	ــ
المجموع	٤	٢	١٨٤	١٢٥	١٦٧	١٣١	١١
الإجمالي	(٦) مدارس		٣٠٩تلميذ وتلميذه [١]				

ويتضح لنا من الجدول السابق أن أعداد المدارس الخاصة بتعليم البنين تزيد عن مدارس البنات وهذا معناه قلق وتشكيك أهالي السودان من التعليم الإرسالي الأمريكي بالنسبة للبنات ؛ ويظهر لنا ذلك من خلال عدد التلاميذ فبلغ عدد البنين(١٨٤) تلميذاً والبنات (١٢٥) تلميذه أي أن البنين يزيد عن البنات بنسبة٣٢% تقريبا ، كما نجد أن أعداد التلاميذ الوطنيين زادت على الطلاب

(١) تقارير كتشنر ، تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف ، إحصاء عن المدارس التي تحت سيطرة جمعيات المرسلين في ١٩١٢/١١، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٢٨-١٢٩.

المصريين وذلك لعدم تشجيع الأهالي المصريين دخول أولادهم لمدارس تلك الإرسالية الأمريكية أو الجنسيات الأخرى و أما بالنسبة للبنات وجدنا العكس .

وهكذا نجد أن النشاط التنصيري الأمريكي ـ خاصة في الناحية التعليمية التي أحرزوا فيها نجاحاً كبيراً ـ كان أكثر فاعلية و انتشار في شمال السودان منه في جنوبه ؛ ففي الوقت الذي كان يدير فيه المنصرون الأمريكيين (٦) مدارس في الشمال عام ١٩١٢م لم يكن لهم أكثر من مدرسة واحدة في الجنوب في " تل دوليب" .

وإلى جانب التعليم فقد نشط المنصرون الأمريكيون في إجراء التجارب في مراكزهم على زراعة القطن و المشاريع الزراعية الأخرى خاصة عندما زار السودان مغامر أمريكي (لي هنت Lee.Hunt) في عام ١٩٠٥م والذي استطاع أن يحصل بواسطة كرومر على مساحة قدرها (١٠.٠٠٠) فدان في منطقة الزيداب(شمال الخرطوم) والذي ثبت عملياً إمكان زراعة القطن في تلك المنطقة حيث كانت تلك المنطقة بداية المشروع المعروف باسم الجزيرة (وهي المنطقة الواقعة بين ملتقي النيل الأبي بالنيل الأزرق جنوبي الخرطوم) [١] .

٣ـ إرسالية طائفة الأقباط الأرثوذكس :

كان لدخول الأقباط إلى السودان في عصر محمد علي دور في عودة المسيحية فيه بعد زوالها لفترة طويلة منذ انتشار الإسلام في السودان حيث عادت هجرة الأقباط إلى السودان عقب استعادته عام ١٨٩٨م ، وتُعدَّ الإرسالية القبطية أكبر إرساليات الكنائس الأرثوذكس من حيث القدم والوجود ومن حيث الإمكانات المادية والبشرية ويرتبط وجودها في الغالب بالمناطق الحضرية ومما لا شك فيه

(١) حسن على محمد أحمد المكحل ، مشروع الجزيرة في المفاوضات المصرية البريطانية (١٩٠٤ـ ١٩٢٩م) ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الدراسات الأفريقية العليا ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٧٢.

أن بعض الأقباط كانوا قد دخلوا السودان للعمل بالتجارة أو لممارسة أنشطة أخري كالتعليم والصحة ؛ حيث كان من أشهر التجار الأقباط في بداية الحكم الثنائي إبراهيم بك خليل (١٨٤٤ـ ١٩١٧م)[١] ، والذي كان من المقربين إلى كتشنر ويستشيره في بعض القرارات المتعلقة بتجارة السودان والتجار و" أنطونيوس سعد" وهو أحد الأقباط الأرثوذكس ، والذي اشتهر بتجارة الصمغ والعاج وكانت تجارتهما ممتدة بين الخرطوم وأم درمان [٢] .

والجدير بالذكر بأن انتشرت طائفة الأقباط الأرثوذكس في المدن الشمالية من السودان على وجه الخصوص واستقروا فيها وخاصة مدينة الخرطوم ، وأسسوا العديد من الكنائس لممارسة شعائرهم الدينية، حيث أنه بعد عودة الهدوء إلى السودان واستقرار الأوضاع به قام البابا (كيرلس الخامس) (نوفمبر ١٨٧٤ ـ أغسطس١٩٢٧م) ـ بابا الكنيسة القبطية بتعيين الأنبا(صرابا مون) أسقفاً على السودان في ١٢من يوليه١٨٩٧م ، بعدها ذهب إلى الخرطوم وبدأ الاهتمام برعيته حيث كان الأنبا (صرابا مون) ـ أول أسقف لطائفة الأقباط الأرثوذكس وخاصة بعد القضاء على الثورة المهدية [٣] .

---

(١) إبراهيم بك خليل : وهو من الأقباط السودانيين اشتغل بالتجارة ، وكان واسع الثراء للحد البعيد حيث كان يتاجر بين مصر و السودان وقدم مساعدات مالية ضخمة لغوردون (١٨٧٧ـ ١٨٨٠م) ، لدفع مرتبات الجنود ، ونهب الأنصار ممتلكاته بعد سقوط الخرطوم فعاش في أم درمان وأسهم بعد المهدية في تعمير الخرطوم ، وكان من ضمن أعضاء لجنة التعويضات التي أنشأها الحكم الثنائي لتعويض ممن فقدوا ممتلكاتهم ، يراجع : عون الشريف قاسم ، موسوعة القبائل و الأنساب في السودان ، ج١، ط١، طبعة أفروجراف ، مكتبة جامعة الخرطوم ، ١٩٩٦م ، ص ٣٣.

(٢) مصطفي كامل عبده ، مقال بعنوان / الأقباط والتجارة بالسودان خلال فترة الحكم الثنائي، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد ٢٦، يناير ٢٠١٧م ، ص ص ١٧٣/١٧٦.

(٣) أثناسيوس آفافيني ، الكرازة المرقسية في السودان في القرن التاسع عشر و القرن =

فقد وجد الأقباط بطوائفهم الثلاث بالسودان ، فكانت طائفة الأقباط الأرثوذكس لها الأغلبية ، والأقباط الكاثوليك الطائفة الأقل وجوداً ونشاطاً بالسودان ، وطائفة الأقباط الإنجيليين التي كان لها نشاط كبير بعد طائفة الأقباط الأرثوذكس [١] .

كما عمل الأقباط في السودان بجميع جهاته وجميع مصالحه ومشروعاته بعد فتح محمد علي للسودان وبدخول جهازه الإداري إلى السودان الذي تكَّون أغلبه من الأقباط والمسيحيين المصريين الأرثوذكس حيث عملوا في المصالح الحكومية التابعة لحكومة السودان ، وكذلك البنوك والشركات الأجنبية ، وأبرزها مصلحة سكة حديد السودان حيث شارك الأقباط في العمل في سكة حديد السودان وتطور وجودهم بعد ذلك فلم يقتصر على الأعمال الكتابية بل تطرق عملهم في عدة وظائف في سكة حديد السودان [٢] .

كما شارك الموظفين الأقباط في مصلحة البريد فكان "حبيب أفندي سابا " من المصريين الأقباط الذي عُيَّن وكيلاً لبوستة عطبرة في يناير عام ١٨٩٩، ثم وكيلا لبوستة الخرطوم في مايو عام ١٩٠٠م ، ولم يقتصر عمل الأقباط في

=

العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات القبطية ، قسم الدراسات الأفريقية ، ٢٠١٤م ، ص ١٢٥.

(١) المرجع نفسه ، ص ١٢٦

(٢) وثائق مجلس النظار و الوزراء ، محافظ السودان ، بدون رقم محفظة ، الملف ٨٧٤ ، مكاتبات خاصة بالسكك الحديدية السودانية ، ٧/١٣/ ١٨٨١م ، الكود الأرشيفي/ ٠٥٩١٣٠ـ ٠٠٧٥.

مصلحتي السكك الحديدية و البريد بل شارك كثير من الموظفين المصريين والشوام (المسلمين والأقباط) في المصالح و الإدارات السودانية الأخرى [١] .

ومما يجدر ذكره فقد كان الأقباط الأرثوذكس أول من نقلوا التعليم المصري إلى السودان وقامت مؤسساتهم ـ معتمدة على أموالهم الخاصة ـ بإنشاء المدارس حيث كان عدد الأقباط في السودان في ازدياد مستمر منذ استرداده ، وهاجر عدد كبير منهم إلى السودان ، لذلك سعت الجالية القبطية لدي السلطات البريطانية في السودان للسماح لها بفتح مدارس لتعليم أبنائهم فوافقت على إنشاء مدارس للأقباط في الشمال وبخاصة مدينة الخرطوم [٢] .

فقد تخوف المصريون عموماً الموجودون في السودان من أثر السياسة البريطانية على إضعاف الثقافة العربية لأبنائهم، فبدأوا في فتح مدارس أهلية في مناطق تجمعهم في الشمال ؛ إذ أنشأوا أول مدرسة أهلية للبنات عام ١٩٠٢م والتي كانت من المدارس الأولية القبطية في الخرطوم [٣] .

كما بدأ التعليم المصري أثناء الحكم الثنائي بصفة غير رسمية بمدارس الأقباط بإشراف من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وقد سمحت السلطات البريطانية بهذه المدارس لأنها كانت لا تخشي من تلك المدارس التي كانت

---

(1) Milner Papers.,Bodlean Library – Room 132.,Oxford.,Box.448.,Quarterly List., Sudan Government Showing Appointments And Stations On The Lst.,January .,1920.,P.7 .

يراجع الملحق رقم (٢) ، ص ٤٨.

(١) نوال عبد العزيز راضي ، رياح الشمال ، دراسة في العلاقات المصرية السودانية في التاريخ الحديث و المعاصر ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٥٧.

(٢) يونان لبيب رزق ، الثوابت و المتغيرات في العلاقات المصرية السودانية ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ص ٥٧ـ ٥٨.

تُشرف عليها الحكومة المصرية حيث كانت تلك المدارس القبطية تشمل كل المراحل التعليمية الأولي (رياض أطفال و مدارس ابتدائية) موزعة في الخرطوم و الخرطوم بحري [١] ، ويبين الجدول الآتي عدد التلاميذ المسلمين و المسيحيين السودانيين [٢] :

المراحل التعليمية	عدد التلاميذ المسلمين	عدد المسيحيين	السودانيين	أجناس أخري	المجموع
رياض أطفال	١٥١	٣١	١٨٢	٤	١٨٦
مدارس ابتدائية	١٤٥	٧٦	٢٢١	٤	٢٢٥

وقد فتحت تلك الارسالية القبطية الأرثوذكسية بعض المدارس للبنين والبنات في الخرطوم وأم درمان وذلك في عام ١٩٠٤م ثم المكتبة القبطية في عام ١٩٠٨م وهي حافلة بأهم الكتب التاريخية والمخطوطات ، وبما أن الكنيسة القبطية تابعة للبابا بالإسكندرية وبالتالي للحكومة المصرية ، وأن الأقباط الأرثوذكس هم الذين يتبعون الكنيسة القبطية المصرية ؛ تولت البعثة التعليمية المصرية التابعة لوزارة المعارف المصرية الاشراف على هذه المدارس بموجب اتفاقية بين وزارة المعارف المصرية والسودانية مع سلطات الكنيسة [٣] .

ويمكننا القول بأن أنشأ الأقباط العديد من المدارس الخاصة بهم في السودان الشمالي والتي لم تكن لأبنائهم فقط وإنما كانت للمسلم والمسيحي على حدٍ سواء ، كما اهتموا بتعليم البنات مثل البنين ، وقامت هذه المدارس القبطية الأرثوذكسية بدور كبير ومؤثر في الحركة التعليمية في السودان وفي نشر التعليم

(١) إبراهيم الحاردلو، الرباط الثقافي بين مصر و السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، السودان ، ١٩٧٧م،ص ٤٩.

(٢) حسن مكي محمد أحمد ، المشروع التنصيري ، ص ص ١٧١- ١٧٢.

(٣) كمال محمد جاد الله ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٢.

بالسودان الشمالي وبخاصة في مدينة الخرطوم ، وتعليم أبناء السودان والمصريين وغيرهم من مختلف الأديان [١] .

ومن هذا المنطلق واصلت الإرساليات التنصيرية جهودها لإقناع أهالي الشمال بالديانة المسيحية فعملت على تقوية الأقباط كي تثبت تواجدها على أرض السودان فأنشأت مدرسة في (حي المسالمة) ـ بأم درمان ـ لإرجاع الذين أسلموا إلى المسيحية ، كما قامت تلك الإرساليات بزيارة الأهالي في بيوتهم ، وفتحت عدة قاعات للأطفال المسلمين في مدارسها في أم درمان وكردفان بلغ عدد تلاميذها (٣٥٠) طالباً [٢] .

كما أن هذه الإرسالية القبطية احتوت على مطرانيتين إحداها مِطرانية توجد بالخرطوم ويرعاها الأنبا دانيال مطران أسقف الخرطوم وأوغندا وجنوب السودان ومقر تلك المطرانية في الخرطوم ، والثانية توجد في أم درمان ويرعاها الأسقف صرابا مون أسقف عطبرة و أم درمان والنوبة وشمال السودان ومقر تلك الإرسالية في أم درمان ، كما أنشئت تلك الإرسالية مدارس للأقباط بلغ عددها في عام ١٩١٢م حوالي (٤) مدارس في الخرطوم ، وأم درمان ، وعطبرة، وحلفا ، وبلغ عدد تلاميذها حوالي (٩٠) تلميذاً ، وكلها من البنين[٣] .

ـ المدرسون الأقباط بالسودان :

لم ينحصر النشاط التعليمي للمدرسين الأقباط في السودان بالمدارس القبطية فقط و إنما امتد نشاطهم للمدارس الأميرية و مدارس البعثات التنصيرية،

---

(١) مصطفى كامل عبده ، الأقباط في السودان من ١٨٩٩ـ ١٩٥٦م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٢١م ، ص ٣٠٥.

(2)W.Wilson.Cash.,The Changing Sudan Church Missionary Society .,London.,1930., P.41.

(٣) تقارير كتشنر ، تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف ، عام ١٩١٢م ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٢٨-١٢٩.

وأخذوا على عاتقهم قيادة الجيل الجديد إلى الحضارة و التقدم حيث شعرت الحكومة السودانية منذ اللحظة الأولي باحتياجها إلى عدد كبير من الموظفين السودانيين للعمل في دواوين الحكومة المختلفة ولذلك أخذت على عاتقها إنشاء مؤسسات تعليمية ولن يتأتى ذلك إلا إذا وجد المدرس (المعلم) الذي كان يقع عليه الجزء الأكبر من المسئولية لا في القيام بالتدريس فحسب بل وفي توجيه الطلبة وقيادتهم نحو حياة مستقبلية أفضل ولم يكن هناك غير الأساتذة المصريين والذين كان لهم دور كبير في العملية التعليمية في السودان(١).

فلم تستطع حكومة السودان الاستغناء خلال السنوات الأولي من إنشاء تلك المدارس القبطية على الأقل عن المعلم المصري ، الأمر الذي اعترف به كيري (مدير التعليم في السودان) بجهد المدرسين المصريين(أقباط و مسلمين)، وتفردهم في القيام بهذا العبء حيث قال " إن كل الأعمال التي تمت في ميدان التعليم خلال فترة الحكم الثنائي كان من الممكن اعتبارها من المستحيلات لولا المعونة الفعالة التي قدمها المعلمون المصريون الذين عملوا في سائر أرجاء السودان ؛ رغم محاولة بريطانيا جعل التعليم العلماني أساسياً في السودان إلا أنها اعتمدت في نظامها التعليمي على المدرسين المصريين (٢) .

ومن المدرسين الأقباط بمدارس السودان الأستاذ "عبد الملك أفندي ميخائيل" والذي كان مدرساً بالمدرسة الإنجليزية بالخرطوم في عام ١٩٠٤م ،

(١) زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتي الاستقلال (١٨٢١ـ ١٩٥٣م) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ص ٢٢٢ـ ٢٢٣.

(٢) تقارير كرومر ، تقارير عن الحالة المالية و الإدارية و العمومية في مصر و السودان ، تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف ، عام ١٩٠٢، ترجمة المقطم بمصر ، عام ١٩٠٣م ، ص ٧٤؛ يراجع أيضاً : يونان لبيب رزق ، الثوابت و المتغيرات في العلاقات المصرية السودانية ، ص ٥٧.

وكان الأستاذ " فلتس أفندي حنا " ناظراً لمدرسة الأمريكان بالخرطوم والذي توفي في ١٩١٩م [١]، كما كان الأستاذ " عيسى أفندي عبد المسيح " من المدرسين (بكلية غوردون التذكارية)[٢] ، والذي كان على درجة عالية من الثقافة والمعرفة ، كما كان " عبد الحليم أفندي حلمي " ، و " فريد أفندي عطية " وهم من المصريين الأقباط اللذين عملوا كموظفين بكلية غوردون [٣] .

أيضاً لم يقتصر الدور المصري على امداد السودان بالمدرسين الأقباط المصريين بل نجده يشارك في إنشاء مدارس عديدة في مناطق كثيرة من جهات السودان المختلفة على غرار المدارس المصرية في مصر مثل مدارس الأقباط في الخرطوم وعطبرة و التي أنشأتها الحكومة المصرية على حسابها الخاص [٤] .

---

(١) جريدة التوفيق ، العدد ١١، السنة ٨، ١٩٠٤/١/٢م ، ص ١٧٣.

(٢) كلية غوردون التذكارية : عقب موقعة أم درمان عام ١٨٩٨م ، و أثناء تواجد كتشنر (سردار الجيش المصري) في لندن عام ١٨٩٩م أصدر نداء للشعب البريطاني لإنشاء كلية علمية تحمل اسم غوردون في الخرطوم تخليداً لذكراه ، وقد تم جمع مائة ألف (١٠٠.٠٠٠) جنيه استرليني معظمها من البلاد البريطانية لهذا الغرض ويُدئ في بناء ما عُرف باسم كلية غوردون في مدينة الخرطوم ووضع اللورد كرومر حجر أساس الكلية في م من يناير سنة ١٩٠٠م ، وافتتحت بصفة رسمية في ٨ من نوفمبر عام ١٩٠٢م ؛ يراجع :

F.O.,407.,164.,No.83.,Op.Cit.,1905.,P.194.

(٣) جريدة السودان ، العدد ١٩٦٠١، السنة ١٦، ٣/ ١٩١٩/٩م ؛ انظر الملحق رقم (١) ، ص ٤٧ .

(٤) كامل محمد الزيادي ، أثر جهود الأفراد المصريين في السودان (١٩٠٠- ١٩٤٧م) ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات الأفريقية العليا ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص ٢٧.

ومما تشير إليه الوثائق مساهمة مصر في إنشاء مدارس في السودان وخاصة المساهمة المادية حيث أصدرت وزارة المالية مبدئياً قراراً بإعطاء حكومة السودان سلفة قدرها(٨٦.٠٠٠) جنيه مصري لبناء أماكن للتدريس إضافة إلى طلب فتح اعتماد مبلغ(٢٠.٠٠٠) جنيه مصري من احتياطي الحكومة العمومي لهذا الغرض وذلك في عام ١٩٠٧م [١] .

وقد حازت تلك المدارس القبطية ثقة أولياء أمور الطلبة بالسودان ، وصارت موضع إعجابهم وثنائهم ، وشجعوها بحسن تقديرهم ، وشهدوا بأن العمل فيها كان على أكمل وجه بفضل ما كان يبذله مدرسوها وإدارتها من جهد كبير من ناحية ، والسمعة الطيبة التي تمتعت بها هذه المدارس في السودان وصلتها الجديدة بوزارة المعارف العمومية في مصر من جهة أخرى حيث حثت الحكومة السودانية وزارة المعارف المصرية على مساعدة المدارس القبطية في السودان ؛ إذ تحمل تلك المدارس اسم مصر وبرنامج تعليمها [٢] .

٤ـ الإرسالية الأسقفية البريطانية :

وهي إرسالية منطلقة من بريطانيا كجمعية تتصير الكنيسة البريطانية لشمال السودان وخاصة مدينتي الخرطوم وأم درمان(The Church Missioner Society) واختصارها(C.M.S) وتلك الإرسالية تختص بالمذهب الإنجليكاني(البروتستانتي)، واستغلت تلك الإرسالية العاطفة الدينية والقومية بعد

(١) وثائق مجلس النظار و الوزراء ، محافظ السودان ، المحفظة ٣/ ج ، المجموعة ٣٩٠، ديون السودان ، الملف ٢٥٢، مذكرة اللجنة المالية بالموافقة على سلفة لحكومة السودان قدرها ٨٦.٠٠٠جنيه مصري ، الوثيقة نمره ١٤١، بتاريخ ١٣ من مايو سنة ١٩٠٧م ، الكود الأرشيفي / ٠٣١٢٣٤ـ ٠٠٧٥.

(٢) عبدالله حسين ، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، الجزء الثاني ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص ٤٨٦.

السماح لها بالتنصير لدي الشعب السوداني ، والتي تولدت بعد مقتل غوردون باشا في الخرطوم على أيدي المهديين عام ١٨٨٥م ، واستطاعت تلك الإرسالية فرض إرادتها على الحكومة السودانية حيث كانت السلطات البريطانية و الإداريون البريطانيون يقفون وراء تلك الإرسالية و يولونها اهتماما خاصا في توزيع مناطق النفوذ وفي دعمها مادياً [١] .

وقد بدأت نشاط تلك الإرسالية منذ إعادة سيطرة الحكم الثنائي على السودان حيث تكونت تلك الإرسالية في لندن ، وتعود أول محاولة ناجحة لتأسيس كنيسة أسقفية في السودان إلي جهود المطران الإنجليزي لويلين جوين(Liewelyn.Ghoin) ــ رئيس الإرسالية الإنجليزية ــ الذي جاء إلى السودان في عام ١٨٩٩م بغرض تأسيس إرسالية في الجنوب ، ولكن منعه من ذلك السردار كتشنر لعدم توفر الأمن في تلك الجهات آنذاك ، وقد تُوِّجَ جهد جوين في عام ١٩٠٤م ببدء بناء الكنيسة الواقعة قرب القصر الجمهوري في الخرطوم [٢] .

كما كانت تلعب تلك الإرسالية الأسقفية دوراً بارزاً في توجيه السياسة البريطانية في السودان ابتداء من عام ١٩٠٤م ، ومن أشهر روادها القس سبنسر ترمنجهام (Spenser.Trimingham) (١٩٠٤ــ ١٩١٤م) ، و القس (قوين) وهو ممثل للكنيسة البريطانية في السودان ، وكانت استراتيجية هذه الإرسالية

(١) فيصل الحاج محمد موسي ، الوجود البريطاني في جنوب السودان (١٨٩٩--١٩٤٧م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٤٤.

(2) F.O.,407,178.,No.137., Report Of Kitchener To Edward Grey.,Part.LXXV.,1912., P.154

يراجع أيضاً : كمال محمد جاه الله ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٢.

السيطرة في مجالات التعليم و الصحة ، ومن ثم التغلغل عن طريقهما وسط أهالي السكان المحليين [١] .

وقد قامت تلك الإرسالية الأسقفية البريطانية بنشاط كبير في مجال التعليم وذلك عن طريق فتح مدرسة في الخرطوم بمبني الكنيسة ؛ ففي عام ١٩٠٤م بلغ عدد البنات في المدرسة الأسقفية بمدرسة الاتحاد بالخرطوم (٨٠) طالبة منهن (٦٣) طالبة مسلمة ، وكان المنهج الدراسي يشمل على العربية والإنجليزية والحساب والعلوم المنزلية والتربية المسيحية ، وتم الاتفاق على أن تهتم الكنيسة الأسقفية بتربية البنات وأن تتولى الإنجيلية تربية الأولاد ، كما فتحت تلك الإرسالية مدرسة أخري للبنات في مدينة أم درمان في عام ١٩٠٦م ، وكان مديرها قوين (qween)أحد القساوسة البريطانيين ، ومنشئ العمل التنصيري المنظم و الحديث في السودان [٢] .

كما ساهمت تلك الإرسالية الأسقفية بدور بارز في إنشاء (كلية غوردون التذكاريةGordon Memorial College) بمبلغ قدره (٣٠٠٠) جنيه إسترليني تخليداً لذكرى غوردون ، وقد فتحت هذه الكلية أبوابها لترويج الثقافة الغربية والأفكار المسيحية ، وفي مدارس تلك الإرسالية كانت الدروس الدينية المسيحية تُلقى على كل الطلاب إلا الذين لا يرغبون منهم فيستثني حضورهم من حصص الصلوات والدروس الدينية [٣] .

ففي عام ١٩٠٩م كان لهذه الإرسالية مدرسة بنات في الخرطوم بلغ عدد تلاميذها (١٤٣) تلميذه منها (٨٣) مسلمات ، (٦٠) مسيحيات معظمهم من السودانيين و المصريين و جنسيات أخري في السودان ، كما أن لهذه الإرسالية

(١) السيد سمير عبد القصود السيد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١.

(٢) حسن مكي محمد أحمد ، المشروع التنصيري في السودان ، ص ١٦٩.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٧.

أيضـاً مدرسـتان للصـبيان والبنـات فـي أم درمـان جاريتـان فـي طريـق التقـدم والنجاح[١] .

وقد أصبحت الإرساليات التنصيرية تُهيمن على هذا النوع من التعليم بفتح مدارس جديدة للإرسالية الأسقفية في شمال السودان ، والتي بلـغ عدد مدارسها فـي عـام ١٩١٢م (٣)مـدارس منهـا مدرسـة للبنـات فـي الخرطـوم ، ومدرسـتان مختلطتان في كل من مدينة أم درمان ، وعطبرة ، بلـغ عدد تلاميذ هذه المدارس (٢١٧) تلميذاً وتلميذه [٢] .

ومن خلال ما سبق ونظراً لاهتمام الإدارة البريطانية بتعليم البنات الإرسالي فقد أنشأت مدارس كبري في الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري، وفتحوا العديد من المدارس؛ ففي عام ١٩١٢م بلغ عدد مدارس البنات(٥) مدارس ، ومدرستان مختلطتان ، ويتضح هذا من الجدول التالي:

اسم الإرسالية	اسم المدرسة	عدد المدارس	نوعية المدرسة	عدد التلاميذ	عدد المدرسات	ملاحظات
الإرسالية الأمريكية	الخرطوم الشمالية حلفا	٢	بنات بنات	٨٠ ٤٥	٥ ١	
الإرسالية	الخرطوم	٢	بنات	١١٠	١٠	

(١) تقارير غورست ، مذكرة بقلم الحاكم العام ، التقرير السنوي لعام ١٩٠٩م ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١.

(٢) تقارير كتشنر ، تقارير عن الحالة المالية والإدارية والحالة العامة في السودان ، تقارير المصـالح ، تقريـر مصـلحة المعـارف ، عـام ١٩١٢م ، مصـدر سـبق ذكـره ، ص ص ١٢٨-١٢٩.

الكاثوليكية	أم درمان			٥٣	٥	
الإرسالية الأسقفية البريطانية	الخرطوم أم درمان عطبرة	١ ١ ١	بنات مختلطة مختلطة	٩٨ ٦٨ ٥١	٦ ٥ ٣	١٠تلاميذ ذكور ١٩تلميذ ذكور
المجموع	ــ	٧	ــ	٥٠٥	٣٥ (١)	منهم ٤مدرسين

من الجدول السابق يمكننا استنتاج الآتي :

١ـ عدد التلميذات (٥٠٥) طالبة يُدَّرسن لهم (٣١) مُدَّرسة و(٤) مُدَّرسين أي بواقع مُدَّرس أو مُدَّرسة لكل (١٤) طالبة وهي نسبة قياسية تربوياً لتحصيل الطالبات .

٢ـ تُدير هذه المدارس إرساليات تنصيرية من أكبر الإرساليات و أنشطها في حقل التعليم في ذلك الوقت .

٣ـ بمقارنة نشاط هذه الإرساليات الخاصة بتعليم البنين نجد أن نصيبهم من التعليم الإرسالي أكثر من نصيب تعليم إرسالي البنات ، وهذا يدل على أن تعليم البنات لم يحظ بالاهتمام مثل البنين مما يؤكد أن نصيب الرجل كان أكثر من نصيب المرأة بالنسبة لهذه المدارس التنصيرية .

(١) تقارير كتشنر ، تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف ، ١٩١٢م ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٦.

وقد اتضح لنا من خلال ما سبق أمرين :

الأمر الأول: اقتصرت معظم قيام مدارس الإرساليات على مدينة الخرطوم ولذا نجدها تقع في أحسن المواقع بالعاصمة في شمال السودان ، وتتمتع بالكثير من الامتيازات كإنشاء المدارس والمستشفيات لممارسة نشاطها التنصيري .

الأمر الثاني : أن مجال الخدمات التعليمية لم يكن يهدف إلى التعليم بذاته، ولكنها كانت تهدف إلى بث نشاط تنصيري يؤدي إلى تحييد نظرة المسلمين للتنصير المسيحي باعتباره كان يؤدي خدمة مهمة للمجتمع بل والدعوة لاعتناق المسيحية في أوساط من لا يؤمنون بها .

ولكن رغم ذلك كان لهذه الإرساليات دور كبير في خدمة وتعليم المرأة السودانية فقدمت تلك الإرساليات للمرأة خدمات جليلة من التعليم الأكاديمي والفني والتدبير المنزلي ـ بل وأفادت المرأة في أن تكون منظمة ومنسقة في حياتها الخاصة والعامة ـ بل وشهدت إحدى الباحثات السودانيات على نجاح التعليم الإرسالي فتقول " ومهما يقال عن الإرساليات المسيحية بأنها لم تستطع أن تنفذ بصورة فعالة سياسة تربوية تعليمية ناضجة ولم تجعل للتعليم أثراً ملموساً في مجتمع متخلف ، فإن الحقيقة الواضحة هي أن مدارسهم قد سدت نقصاً في نظامها التعليمي وأن بعض قائدات ورائدات العمل النسائي كن من خريجات مدارس الإرساليات أمثال (خالدة زاهر ، وفاطمة طالب) [١] ؛ فقد كانت لمدارس

(١) خالدة زاهر : وهي طبيبة سودانية درست في خلوة الفكي حسن في حي الموردة بأم درمان، وتلقت تعليمها الأوسط و الثانوي بمدرسة الاتحاد العليا وهي مدارس خاصة تديرها الكنيسة ، وكانت من خريجات مدارس الإرساليات التنصيرية ، ولها نشاط سياسي حيث انتظمت في عضوية الحزب الشيوعي السوداني ، وأما فاطمة طالب وهي معلمة سودانية وناشطة في حقوق المرأة وتعتبر اول سودانية تحصل على درجة البكالوريوس من جامعة لندن ، وأول مديرة لمدرسة ثانوية للبنات ومن رائدات الحركة النسائية الأوائل بالسودان ، =

الإرساليات الفضل الأكبر في قيام رياض الأطفال وبداية التعليم الأوسط والثانوي للبنات وبداية خروج الفتاة السودانية لتلقي العلم خارج وطنها [١] .

وقد غفل الرأي سالف الذكر بأن تلك الإرسالية الأسقفية قد انغمست في السياسة البريطانية ، بل وكانت أداة يستغلها البريطانيون ضد البلاد وعدم توحيدها، كما أنها عملت على عزل طلابها عن النشاطات الاجتماعية والسياسية، كل هذه الأسباب جعلت الشعب السوداني كان يرفض التعليم الذي تقدمه الإرساليات مما جعلهم يلجئون إلى التعليم الحكومي للبنات .

وقد ظهر التعليم الحكومي للبنات عندما قامت أول مدرسة نظامية حيث تقدم عدد من أهالي الخرطوم عام ١٩٠٦م بالتماس إلى (جيمس كيري) ـ مدير التعليم ـ بفتح مدرسة حكومية للبنات لتجنب هيمنة الإرساليات على هذا النوع من التعليم [٢] .

ففي عام ١٩٠٧م بُدئ بتجربة جديدة لإيجاد نوع من تعليم البنات في مديرية النيل الأزرق حيث تقدم (الشيخ بابكر بدري) ـ أحد رواد التعليم في السودان ـ بأكثر من طلب إلى المستر جيمس كيري للسماح له بفتح قسم للبنات

=

وهكذا فقد تلقت كل من خالدة زاهر و فاطمة طالب تعليمهن في مدارس أجنبية ولعل احساسهن بالفارق الكبير بين الفتاة الأجنبية و السودانية في ذلك الوقت دفعهن في التفكير في مساعدة المرأة السودانية للنهوض من وهدتها ، يراجع : الصادق عبدالله أحمد محمد ، مقال بعنوان / خالدة زاهر من رائدات الحركة الوطنية في السودان ، العدد ٢، مجلة القلزم العلمية ، مركز بحوث دراسات دول حوض البحر الأحمر ، ٢٠٢٣م ، ص ص ١٥–١٨.

(١) حاجه كاشف بدري ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩.

(٢) تقارير كرومر ، تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف ، عام ١٩٠٦م ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٧.

في كُتَّابه المعروف (بكُتَّاب رفاعة) ، ويعتبر بابكر بدري أول من دعا لتعليم البنات في السودان [١] ، وبالفعل بدأت المدرسة في رفاعة (والتي تقع على ضفة النيل الأزرق من الخرطوم حتي سنار) بحوالي (١٧) بنتاً منهن (٩) من بنات بابكر بدري والباقيات من سكان رفاعة [٢] ، ويتضح من الجدول الآتي بطء تطور تعليم البنات :

السنة	المديرية	اسم المدرسة	عدد التلاميذ	مسلمين	مسيحيين	ملاحظات
١٩٠٧	النيل الأزرق	رفاعة	١٧	١٧	ــ	مدرسة
١٩٠٨	// // //	// // //	٤٦	٤٦	ــ	
١٩١٠	// // //	// // //	٤٤	٤٤	ــ	
١٩١١	// // //	// // //	٥٢	٥٠	٢	
١٩١٢	// // //	// // //	٦٠	٥٧	٣	
------	دنقلة	دنقلة	٣٧	٣٦	١	
-------	كسله	كسله	٦	٦	ــ	
١٩١٣	الأزرق	رفاعة	٦٠	٥٩	١	
------	الأزرق	الكاملين	٥٠	٥٠	ــ	مدرسة
------	دنقلة	دنقلة	٤٢	٤١	١	مدرسة

ومن خلال الجدول السابق كان تطور تعليم البنات بطيئاً فنجد في عام ١٩٠٧م مدرسة واحدة في رفاعة بها (١٧) طالبة تستمر هذه المدرسة حتى عام ١٩١٣م فنجد (٣) مدارس في (رفاعة و الكاملين و دنقلة) بهم (١٥٢) تلميذه ، فهذه الزيادة زيادة بسيطة جداً بالنسبة لطول المدة بين الفترتين التي تبلغ (٦) سنوات تقريباً ، كما نجد أن تمركز المدارس الحكومية في أماكن ببعض المديريات لا يوجد بها مدارس تنصيرية وبالعكس مدارس تنصيرية في أماكن لا

(١) تقارير غورست ، تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف ، عام ١٩٠٧، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٠.

(٢) بابكر بدري ، تاريخ حياة بابكر بدري ، ج٢، ط٢، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، ص ٨٤.

يوجد بها مدارس حكومية ولعل هذا نوعاً من سياسة فرق تسد والازدواجية التعليمية .

وعندما برزت بريطانيا بشكل واضح في تشجيع الإرساليات التنصيرية للتوجه إلى السودان بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م بحجة التعليم و الصحة وركزت وجودها في شمال السودان فأنشأت المدارس والمستشفيات لممارسة نشاطها التنصيري ؛ حيث كانت حركة المنصرين تتم تحت غطاء تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية ؛ فضلا عن تحقيق الأهداف السياسية التي كانت تسعى لها جاهدة الحكومة البريطانية [١].

وفي النهاية شعرت الإدارة البريطانية بضرورة الالتجاء إلى الإرساليات التنصيرية حيث أنها ساعدتهم في الإتيان بمؤثرات حضارية تمدينية في قوالب نصرانية وسط القبائل البدائية والمختلفة [٢].

كما أعلنت تلك الإدارة وجهة نظرها وهي أنها بموافقتها على هذه الإرساليات سوف تكسب ثقة الأهالي بالنظام الجديد ، وقد يكون لهذا أثره في نشر لواء الحضارة بين السكان وذلك عن طريق تعليمهم مبادئ الفكر والسلوك الجيد [٣].

والجدير بالذكر أدي اندلاع الحرب العالمية الأولى وبروز الحركة الوطنية إلى إحداث قلق في الدوائر الحكومية السودانية آنذاك حيث كانت تلك الحركة الوطنية مركزة في الشمال وخاصة مدينة الخرطوم وقيادتها في يد الطبقة المتعلمة

(١) مدثر عبد الرحيم ، الإمبريالية والقومية في السودان ، دراسة في التطور السياسي و الدستوري (١٨٩٩. ١٩٥٦م) ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ٧٥.

(٢) محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، ص ٦٦.

(٣) تقارير كرومر ، مذكرة بقلم الحاكم العام ، التقرير السنوي لعام ١٩٠٥م ، ترجمة حكومة السودان ، عام ١٩٠٦م ، ص ٤٢.

والمثقفة ، وقامت السلطات البريطانية بقمع تلك الحركة الوطنية ، وشجعت الإرساليات التنصيرية سراً وعلانية ، واعتبرت تلك الإرساليات أن كل تهديد للوجود الاستعماري في السودان هو بمثابة تهديد للمشروع التنصيري ، وتعاونت الإدارة البريطانية مع الارساليات من أجل استئصال الثقافة العربية والإسلامية ، ونشر مدارس للإرساليات في الشمال[١] .

كما عهدت الإدارة البريطانية بالتعليم للإرساليات المسيحية والتي اقتصر دورها من قبل على تنصير سكان تلك المناطق وتعليمهم إطاعة سلطات الحكومة والتزمت تلك الحكومة بدفع إعانات لتلك الإرساليات نظير ما تقوم به من عمل في هذا المجال ، كما منحتها تسهيلات وامتيازات منها السفر بالبواخر والقطارات [٢] .

(١) نائلة أحمد العطا ، النشاط التنصيري والدعوي في السودان في الفترة من ١٨٩٨-١٩٩٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية أصول الدين ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، ٢٠٠١م ، ص ١٨.

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي و المسيحي في السودان ، دراسة أولية ، مكتبة الدراسات السودانية ، المطبعة الحكومية ، الخرطوم ، ١٩٧٩، ص ٤١.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الإرساليات التنصيرية و علاقتها بالتعليم في شمال السودان (١٨٩٩ـ١٩١٤م) ، وقد تبين من خلال هذه الدراسة بأن كانت فترة الحكم المصري في السودان نقطة انطلاق لبدء النشاط التنصيري في السودان فقد فتحت البلاد للجاليات الأوربية والمنظمات التنصيرية تعمل بهمة ونشاط وتضع البنيات الأولى للعمل التنصيري في شمال السودان ويتوافد القساوسة و المنصرين إلى البلاد بشكل كبير حيث لم تكن هناك قيود تحد من نشاطهم ، ولما قامت الثورة المهدية وسقطت الخرطوم على أيدي الثوار عام ١٨٨٥م توقفت كافة الأنشطة التنصيرية في البلاد ولم يستأنف نشاط الإرساليات إلا بعد دخول السودان تحت مظلة الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م ، وقد طلبت بعض أعضاء المنظمات والإرساليات من سلطات الحكم الثنائي والذي تمثل في الإدارة البريطانية بالسماح لها بمعاودة أنشطتها التنصيرية في السودان .

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى حقائق عدة أهمها :

١ـ تمكنت الحكومة البريطانية منذ بداية وجودها على أرض السودان من فرض إرادتها السياسية والإدارية على الرغم من توقيعها اتفاقية الحكم الثنائي مع مصر ، فكان ساسة بريطانيا يرسمون السياسة في السودان ، والتي كانت تنفذ من قبل الحكام والإداريين البريطانيين العاملين في هذه البلاد بعيداً عن تدخل الحكومة المصرية على الرغم من اشتراكها في حكم السودان .

٢ـ ركزت أعضاء البعثات (الإرساليات) التنصيرية في تنفيذ مهامها في شمال السودان وبخاصة مدينة الخرطوم باعتبارها مقر الحكومة المركزية وعاصمة السودان ، كما أن ضعف الحكام المحليين ، وعدم قدرتهم على مواجهة المستعمر من جهة ، وانتشار الفقر والأمراض و الأوبئة من جهة أخري من الأسباب التي أدت إلى إعطاء الفرصة للمنصرين في استغلال الظروف المتردية في تحقيق نشاط تلك البعثات في السودان وخاصة في شمال

السودان ، وكان الهدف الأساسي هو تفكيك وحدة السودان وهذا ما سعت إليه دول وإرساليات أجنبية متعددة كما تم إيضاحه في ثنايا البحث .

٣ـ عززت الحكومة البريطانية سياستها الجديدة بإطلاق يد الإرساليات في الشمال للعمل تحت غطاء التنصير لكن عملها الحقيقي هو خدمة المصالح الاستعمارية البريطانية ؛ فقد بدأت الإدارة البريطانية في السودان بمحاولة كسب أبناء الشعب السوداني إلى جانبها ولذلك أعلن عدد من القادة السودانيين ولائهم للحكومة البريطانية ، كما ساند المنصرون جهود الحكومة البريطانية حيث بذلت تلك الحكومة أقصي جهودها بعدما واجهت ضغوطا شديدة لمحاولة السماح للجمعيات التنصيرية بتمكين الإرساليات التنصيرية وخاصة البعثات الكاثوليكية من أداء عملها وتحقيق أهدافها المنشودة .

٤ـ شجعت الحكومة البريطانية البعثات التنصيرية بشكل كبير ، كما أنها شجعت في الوقت نفسه على إثارة الخلافات القبلية وقامت بتصنيف السكان إلى أعراق مختلفة ، وشجعت على استبدال اللغة العربية باللغة الإنجليزية كلغة رسمية ، وأعطت الإرساليات (البعثات) صلاحيات كبيرة في رسم السياسة التعليمية والصحية و الاجتماعية في السودان حيث أسس المنصرون البريطانيون مدرسة للبنات في الخرطوم عام ١٩٠٣م كنواة لمدارس أخري لاتخاذها وسيلة للترويج للديانة في أماكن أخري في شمال السودان .

٥ـ لوحظ أن حاكم عام السودان لم يقدم خدمة تعليمية حكومية لأهالي شمال السودان ، وترك ذلك بصورة مقصودة لنشاط البعثات التنصيرية المسيحية من كاثوليكية و بروتستانتية و التي تتبع النمسا و الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ، تلك البعثات التي استخدمت وسائل متعددة للممارسة نشاطها كبناء الكنائس وتقديم الخدمات الدينية وكتقديم خدمة طبية للمرضي وخدمة تعليمية في مدارس ملحقة بالكنائس .

ملاحق البحث

الملحق رقم (١) : قائمة بالموظفين المصريين و الشوام(المسلمين و الأقباط) في الإدارات السودانية في مديرية الخرطوم

م	الإدارة	الاسم	الجنسية	الديانة	الوظيفة	تاريخ الالتحاق الخدمة
١	الإدارة المركزية	شاهين بك جرجس	مصري	مسيحي	سكرتير عربي	١٨٩٩/١١/٣
٢	الزراعة و الغابات	حبيب أفندي حنين	مصري	مسيحي	باشكاتب	١٩٠٢/٦/١
٣	الزراعة و الغابات	شحاته أفندي قبطان	مصري	مسيحي	باشكاتب	١٨٩٩/٢/١٦
٤	الجمارك	ميشيل أفندي فارس	مصري	مسيحي	مراقب حسابات	١٩٠٤/٧/١
٥	التعليم غوردون	حبيب أفندي بدر	مصري	مسيحي	باشكاتب	١٩٠٠/١١/١
٦	التعليم غوردون	فريد أفندي عطية	مصري	مسيحي	مراقب مدارس	١٩٠٥/٨/٢
٧	التعليم غوردون	عبد الحليم حلمي	مصري	مسيحي	ناظر مدرسة القضاء	١٩٠٢/١/١
٨	مدرسة الزراعة	مقصود أفندي حنا	مصري	مسيحي	مدير الزراعة	١٩٠٧/١/٢٥
٩	الإدارة المالية	سعيد باشا شقير	شامي	مسيحي	مدير عام حسابات	١٨٩٩/٩/١
١٠	---------	نخله بك تادرمن	مصري	مسيحي	مراقب إداري	١٩٠٠/٢/١
١١	---------	محمد بك	مصري	مسلم	مراقب إداري	١٩٠٢/٢/١٠

		رياض				
١٢	---------	سليمان عز الدين	مصري	مسلم	مراقب مستخدمين	١٨٩٩/٨/١٧
١٣	---------	أميل باشا أرقش	شامي	مسيحي	مراقب مالي	١٩٠٠/٦/١٩
١٤	----------	عزيز أفندي شقير	شامي	مسيحي	كبير محاسبين	١٩٠٨/٣/٢٨
١٥	----------	الياس أفندي عيسوي	مصري	مسيحي	رئيس مستخدمين	١٩٠٩/٩/٢٢
١٦	----------	موسي أفندي جورج	مصري	مسيحي	رئيس المعاشات	١٩٠٤/١٠/١٥
١٧	----------	محمد أفندي طه	مصري	مسلم	رئيس صيارفة	١٨٩٩/١/٢٥
١٨	----------	خليل أفندي داغز	شامي	مسيحي	باشكاتب	١٩٠٣/٤/١٦
١٩	----------	ناشد عبد الشهيد	مصري	مسيحي	رئيس الإيرادات	١٩٠٤/٥/٢٣
٢٠	----------	سعيد عز الدين	مصري	مسلم	رئيس الكتبة	١٩٠٠/١١/٢٥
٢١	----------	سعيد أفندي سعادة	شامي	مسيحي	كبير محاسبين	١٩٠٧/٤/٧
٢٢	إدارة المخابرات	صمويل بك عطية	شامي	مسيحي	رئيس القسم التاريخي	١٨٩٩/١/١

يراجع :

Milner Papers Bodlean Library Room 132.,Box.,448.,Op.Cit .,P.1-13.

الملحق رقم (٢) : قائمة بالموظفين المصريين و الشوام(المسلمين و الأقباط) في المصالح الحكومية في مديرية الخرطوم

م	المصلحة	الاسم	الجنسية	الديانة	الوظيفة	تاريخ الالتحاق بالخدمة
١	مصلحة البريد	حبيب أفندي سابا	مصري	مسيحي	باشكاتب	١٨٩٩/١/١٩
٢	--------	محمد أفندي نجاتي	مصري	مسلم	كاتب بقسم العهد	١٨٩٩/١/١٩
٣	--------	مصطفي أفندي فرج	مصري	مسلم	رئيس محاسبين	١٩٠٠/٧/١
٤	--------	غبرياي أفندي بشاي	مصري	مسيحي	رئيس الحوالات	١٨٩٩/١/١٩
٥	--------	أنطون أفندي حنا	مصري	مسيحي	رئيس الطرود	١٨٩٩/١/١٩
٦	--------	عطية أفندي خليل	مصري	مسيحي	رئيس التلغراف	١٩٠٠/١٢/١
٧	--------	هاني أفندي بوليس	مصري	مسيحي	رئيس التوفير	١٨٩٩/١/١٩
٨	--------	سلامه أفندي الملطى	مصري	مسيحي	مراقب البريد	١٨٩٨/٥/١٦
٩	--------	صموئيل أفندي عبد الملك	مصري	مسيحي	باشكاتب	١٨٩٩/١/١٩
١٠	--------	قديس أفندي عبد السيد	مصري	مسيحي	رئيس البريد	١٨٩٩/١/١٩
١١	الأشغال العامة	جورج أفندي حراد	شامي	مسيحي	كاتب قسم هندسة	١٩٠٥/١/١١

١٢	السكك الحديدية	حسن بك يسري	مصري	مسلم	قائمقام عقيد	١٩٠١/١/١
١٣	--------	يوسف أفندي حلمي	مصري	مسلم	بكباشي ـ مقدم	١٩٠٩/٢/٨
١٤	---------	محمد أفندي علي قدري	مصري	مسلم	صاغ ـ رائد	١٩٠٤/٧/١٢
١٥	---------	حسن أفندي فهمي	مصري	مسلم	صاغ ـ رائد	١٩٠٣/١/٢١
١٦	---------	محمد أفندي دسوقي	مصري	مسلم	صاغ ـ رائد	١٩٠٢/١٢/١
١٧	---------	محمد أفندي فهمي	مصري	مسلم	صاغ ـ رائد	١٩٠٢/١/١٨
١٨	---------	السيد أفندي لبيب	مصري	مسلم	صاغ ـ رائد	١٩٠١/٢/١
١٩	السجون والمخازن	إبراهيم أفندي مرقص	شامي	مسيحي	باشكاتب	١٨٩٩/١٢/٧
٢٠	---------	يوسف أفندي نجار	شامي	مسيحي	باشكاتب	١٩٠٢/١/٨
٢١	مصلحة المساحة	رياض أفندي أندرلن	شامي	مسيحي	باشكاتب	١٩٠٤/٣/١

يراجع :

Milner Papers Bodlean Library – Room132.,Box.,448.,Op.Cit.,p.1-13

ـ كامل محمد الزيادي ، أثر جهود الأفراد المصريين في السودان ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤٠ـ٤٨.

ـ د/ عبد الوهاب بكر محمد ، مقال بعنوان / بعض الملاحظات على الإدارة البريطانية في السودان ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، العدد الثاني ، ١٩٨٧م ، ص ١٢٩، ١٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق غير المنشورة :

أ ـ الوثائق العربية بدار الوثائق القومية : وقد تم الاستعانة منها بالآتي:

- محافظ أبحاث السودان ، المحفظة رقم ـ ٦، الملف رقم ٥
- // // // // ، المحفظة رقم ـ١٩ ، الملف رقم ١ ، ٢
- // // // // ، المحفظة رقم ـ٢٤ ، الملف رقم ١
- // // // // ، المحفظة رقم ـ٢٥ ، الملف رقم ١
- // // // // ، المحفظة رقم ـ٢٧ ، الملف رقم ١
- وثائق عابدين ، المحفظة ١٠٥، الملف رقم ٥٤، الكود الأرشيفي/٠٠٢١٠٥ـ٠٠٦٩
- وثائق مجلس النظار والوزراء، المحفظة ٤، الملف٣، الكود الأرشيفي /٠٣١٤٤٣ـ٠٠٧٥
- // // // // // ، المحفظة ٣/ج ، الملف ٢٥٢، الكود الأرشيفي /٠٣١٢٣٤ـ ٠٠٧٥
- // // // // // ، المحفظة بدون ،الملف ٨٧٤ ، الكود الأرشيفي/٠٥٩١٣٠ـ٠٠٧٥
- أرشيف وزارة الخارجية المصرية ، المحفظة ٨٥، الملف ٢، الكود الأرشيفي/ ٠٠١٤٨١ـ٠٠٧٥

ب ـ الوثائق الأجنبية :

مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن مصر و السودان و المعروفة بـ(Foreign Office) ، وقد تم الاستعانة بالمجموعات الوثائقية التالية :

F.O.,403/299.,,,,,,,,,,,,
F.O.,407/164.,,,,,,,,,,,,
F.O.,407/165.,,,,,,,,,,,
F.O.,407/170.,,,,,,,,,,

F.O.,407/172.,,,,,,,,,,,
F.O.,407/178.,,,,,,,,,,,

ثانياً :الوثائق المنشورة

أ- الوثائق المترجمة (المعربة):

- وهي تقارير مترجمة عن الأحوال المالية و الإدارية و الحالة العامة في مصر والسودان من عام ١٩٠١م إلى عام ١٩١٣م وقد تم الاستعانة منها بالآتي :

- تقارير كرومر لسنة ١٩٠٢، ترجمة ونشر المقطم .
- تقارير المعارف لسنة ١٩٠٢، ترجمة ونشر المقطم .
- تقارير كرومر لسنوات ١٩٠٤ ، ١٩٠٥م ، ترجمة ونشر حكومة السودان .
- مذكرة بقلم الحاكم العام لسنة ١٩٠٥م ، ترجمة ونشر حكومة السودان .
- تقارير كرومر لسنة ١٩٠٦م ، ترجمة ونشر المقطم .
- تقارير غورست لسنوات ١٩٠٧، ١٩٠٩، ترجمة و نشر حكومة السودان .
- مذكرة بقلم الحاكم العام لسنة ١٩٠٩م ، ترجمة ونشر حكومة السودان .
- تقارير كتشنر لسنة ١٩١٢م ، ترجمة و نشر حكومة السودان .
- تقارير المصالح ، تقرير مصلحة المعارف لسنة ١٩٠٦، ترجمة ونشر المقطم.
- // // // ، // // // // لسنة ١٩٠٧، ترجمة و نشر حكومة السودان .
- // // // ، // // // // لسنة ١٩١٢، ترجمة و نشر حكومة السودان .

- رئاسة مجلس الوزراء ، مذكرة من دار الكتاب الأخضر السوداني على أحمد صالح السوداني إلى أحمد نجيب الهلالي (رئيس مجلس الوزراء) ، ٦أبريل ١٩٥٢م .

ب ـ الوثائق الأجنبية المنشورة :

-Milner Papers .,Bodlean Library –Room 132.,Oxford., Box.,448.,Quarterly List., Sudan Government Showing Appointments And Stations On The List., January .,1920.

-Parliamentary Debates., Official .,Report .,House Of Commons.,Vol.173., Sessioms., 1907.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

١ـ أثنا سيوس آفافيني، الكرازة المرقسية في السودان في القرن التاسع و القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القبطية ، قسم الدراسات الأفريقية ، ٢٠١٤م .

٢ـ السيد سمير عبد المقصود ، التعليم في عهد الحكم الثنائي الأول في السودان (١٨٩٩ــ١٩٢٤م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٠م .

٣ـ حسن على محمد أحمد المكحل ، مشروع الجزيرة في المفاوضات المصرية البريطانية (١٩٠٤ـ ١٩٢٩م) ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات الأفريقية العليا ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٣م.

٤ـ فيصل الحاج محمد موسي ، الوجود البريطاني في جنوب السودان (١٨٩٩ـ١٩٤٧م)، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م.

٥ـ كامل محمد الزيادي ، أثر جهود الأفراد المصريين في السودان (١٩٠٠ـ ١٩٢٤م) ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات الأفريقية العليا ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٤م.

٦ـ نائلة أحمد العطا ، النشاط التنصيري و الدعوي في السودان في الفترة من (١٨٩٨ـ ١٩٩٩م)، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، ٢٠٠١م

٧ـ يحيي محمد إبراهيم ، تاريخ التعليم التقليدي في السودان و الصراع بينه وبين التعليم الحديث ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨.

رابعاً: المراجع العربية و المترجمة :

(أ) المراجع العربية والمترجمة :

١ـ إبراهيم الحاردلو، الرباط الثقافي بين مصر و السودان ، ط١، دار جامعة الخرطوم للنشر، السودان ، ١٩٧٧م.

٢ـ أحمد أحمد سيد أحمد ، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري (١٨٢٠ـ ١٨٨٥م) ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ١٨٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م .

٣ـ أحمد عبد الرحيم نصر، الإدارة البريطانية و التبشير الإسلامي و المسيحي في السودان ، دراسة أولية ، مكتبة الدراسات السودانية ، المطبعة الحكومية ، الخرطوم ، ١٩٧٩م.

٤ـ أحمد محمد الطاهر سليمان ، السودان خلال الحكم الثنائي (١٨٩٩ـ ١٩٢٤م) ، الطبعة الأولى ، دار مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠١٩م .

٥ـ إلياس ف. طونيولو، دور الإرساليات الكاثوليكية في حركة الكشف الجغرافي و علم الأجناس البشري في السودان (١٨٤٢ـ ١٨٩٩م) ، الخرطوم ، ١٩٥٨م .

٦ـ التيجاني عامر، جنوب السودان ، بحر الغزال بين العصابات و الحكومات ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٧ـ بابكر بدري ، تاريخ حياة بابكر بدري ، ج٢، ط٢، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، ص ٨٤ .

٨ـ توفيق المديني ، تاريخ الصراعات السياسية في السودان و الصومال، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٤م .

٩ــ جبرائيل وير بيرق ، السودان في عهد ونجت ، الإدارة الإنجليزية المصرية في السودان (١٨٩٩ـ ١٩١٦م) ، ترجمة محمد الخضر محمد سالم ، ط٣، دار نشر كادوقلي ، مطبعة تربل ، ٢٠١٥م .

١٠ــ جيوفاني فانتيني ، المسيحية في السودان ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية ، السودان ١٩٩٨م .

١١ــ حاجة كاشف بدري ، الحركة النسائية في السودان ، ط١ ، الخرطوم ، ١٩٨٤م .

١٢ــ حسن مكي محمد أحمد ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ، الخرطوم، ١٩٨٣م.

١٣ــ ----------، المشروع التنصيري في السودان (١٨٤٣ــ ١٩٨٦م) ، المركز الإسلامي الأفريقي في الخرطوم ، العدد ١١، شعبة البحوث و النشر، السودان ، ١٩٩١م .

١٤ــ حمدنا الله مصطفي حسن ، التطور الاقتصادي و الاجتماعي في السودان(١٨٤١ـ ١٨٨١م) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

١٥ــ خالد مبارك ، التعليم العالي في السودان ، دار الحياة ، بيروت ، ١٩٨٥م.

١٦ــ خالد محمد نعيم ، الجذور التاريخية للإرساليات التنصيرية الأجنبية في مصر ، دراسة وثائقية ، دار المختار الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

١٧ــ زاهر رياض ،السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتي الاستقلال (١٨٢١ـ ١٩٥٣م) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٨ــ عبدالله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، ج٢ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٣٥م .

١٩ــ عبدالله على حامد العبادي ، أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٥م.

٢٠ـ عبد الحميد البطريق، أفريقيا حلم الاستعمار البريطاني، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٤٥م .

٢١ـ عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٢٢ـ عبد القادر إسماعيل ،الأصول المسيحية و أزمة الهوية في السودان ، مؤسسة الطوبجي ،القاهرة ، ٢٠٠٦م .

٢٣ـ عبد المعطي البيومي سالم الدريني ، موقف مصر من القوي الوطنية السودانية بشأن وحدة وادي النيل (من يناير إلى يوليو) ، ١٩٥٢، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

٢٤ـ عون الشريف قاسم ، موسوعة القبائل و الأنساب في السودان ، الجزء الأول ، الطبعة الأولي ، طبعة أفرو جراف ، مكتبة جامعة الخرطوم ، ١٩٩٦م .

٢٥ـ محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ، ط٢، مركز عبد الكريم ميرغني، الخرطوم، ٢٠٠٢م.

٢٦ـ محمد صبري السوربوني ، الإمبراطورية المصرية في عهد إسماعيل و التدخل الأنجلو الفرنسي(١٨٦٣ـ ١٨٧٩م)، ج٢ ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٢م .

٢٧ـ محمد عبد الحميد الحناوي، دراسة في التقارير الرسمية للمعتمدين البريطانيين عن السودان ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٧م.

٢٨ـ محمد عمر بشير، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، ترجمة أسعد حليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧١م .

٢٩ـ ---------- ، تطور التعليم في السودان(١٨٩٨ـ ١٩٥٦م) ، الطبعة الثانية ، ترجمة هنري رياض و آخرون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٠م .

٣٠ـ محمد فوزي مصطفي عبد الرحمن ، الثقافة العربية و أثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر، الطبعة الأولى ، الدار السودانية ، الخرطوم ، ١٩٧٢م.

٣١ـ مدثر عبدالرحيم ، الإمبريالية و القومية في السودان دراسة في التطور السياسي و الدستوري(١٨٩٩ـ ١٩٥٦م) ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٧١م.

٣٢ـ مصطفي خالدي ، عمر فروخ ، التبشير و الاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ١٩٥٣م.

٣٣ـ مصطفي كامل عبده ، الأقباط في السودان من(١٨٩٩ـ ١٩٥٦م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ٢٠٢١م .

٣٤ـ مكي شبيكة ، السودان في قرن (١٨١٩ـ ١٩١٩م) ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

٣٥ـ ------ ، السودان عبر القرون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١م .

٣٦ـ نوال عبد العزيز راضي ، رياح الشمال، دراسة في العلاقات المصرية السودانية في التاريخ الحديث و المعاصر، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣٧ـ يونان لبيب رزق ، السودان في عهد الحكم الثنائي الأول(١٨٩٩ـ١٩٢٤م)، معهد البحوث و الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦م.

٣٨ـ---------- ، الثوابت و المتغيرات في العلاقات المصرية السودانية ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

(ب) المراجع الاجنبية:

1-Aldocill,Daniel.,Comboni.,TheMan And His Message Italy.,1980. 2-Dorothea.,Mcewan.,A Catholic Sudan Dream Mission Reality., Roma., 1987.

3-Hill.,R.,Egypt In TheSudan (1820-1881).,London.,1959 .

4-Trimingham., Spenser., The Christian A pproach To Islam., Oxford University .,1948.

5-Wallis Budgo. ,E.A., The Egyptian Sudan., Its History And Monuments., Vol.II., London.,1907.

6-Wilson. Cash., The Changing Sudan., Church Missionary Society .,London.,1930.

خامساً: الدوريات:(أ) العربية وتنقسم إلى قسمين :

١ـ المجلات :

- الصادق عبدالله أحمد محمد ، مقال بعنوان / خالدة زاهر من رائدات الحركة الوطنية في السودان ، مجلة القلزم ، مركز بحوث ودراسات دول البحر الأحمر ، العدد ٢، ٢٠٢٣م.
- حسان ريكان خلف ، مقال بعنوان / الإرساليات التبشيرية في السودان (١٩١٤ـ ١٩٦٤م)، المجلة الملوية ، كلية الآداب ، جامعة العراق ، العدد ٨، المجلد ٤، السنة الرابعة ، ٢٠١٧م .
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، مقال بعنوان / بداية التنصير الأمريكي في وادي النيل ، مجلة الدارة ، مركز دارة الملك عبد العزيز ، المجلد ٩، العدد ٤، ١٩٨٤.
- عبد الوهاب بكر محمد ، مقال بعنوان / بعض الملاحظات على الإدارة البريطانية في السودان ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، العدد الثاني ، ١٩٨٧م .
- عطيات البشير ، أساليب السياسة الإدارية البريطانية في جنوب السودان (١٨٩٩ـ ١٩٢٠) ، المجلة التاريخية الجزائرية ، العدد ٥، ٢٠١٨م .

ـ كمال محمد جاه الله ، مقال بعنوان / الوجود الكنسي في السودان قبل انفصال الجنوب ، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ،العدد ٢، المجلد ٨، ٢٠١٣م.

ـ محمد أبو محمد إمام ، مقال بعنوان / دور الإرساليات التبشيرية في مشكلة جنوب السودان ، مجلة القلزم للدراسات التاريخية ، العدد ١٣، ٢٠٢٢م .

ـ مصطفي كامل عبده ، مقال بعنوان / الأقباط و التجارة بالسودان خلال فترة الحكم الثنائي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد ٢٦، يناير ٢٠١٧م .

ـ نبيل عبد الحميد سيد ، مقال بعنوان / النشاط الأمريكي في البلاد العربية حتي عام ١٩٢٣م ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ١٤، المجلد ٢٧، ١٩٨١م .

٢ـ الصحف و الجرائد :

ـ جريدة السودان ، العدد ١٩٦٠١، السنة ١٦، بتاريخ ٣سبتمبر ١٩١٩م .

ـ جريدة الهلال ، العدد ٩ ، سبتمبر ١٩٦٥م .

ـ جريدة اللواء ، العدد ١٠٦، ٢٣ أبريل عام ١٩٠٠م .

ـ جريدة التوفيق ، العدد ١١، السنة ٨، بتاريخ ٢ يناير ١٩٠٤م .

ـ جريدة المؤيد ، العدد ٥٠٤٣، ١٧ ديسمبر ١٩٠٦.

(ب) الأجنبية :

Toniolo., F.S.C.C., The First Centenary Of The Roman Catholic Mission —

Central Africa(1846-1946)In Sudan.,Notes And Records. Vol.XXVII.,1945.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ـ المستخلص	٢٣٤٣
ـ المقدمة	٢٣٤٥
المبحث الأول الجذور التاريخية للإرساليات التنصيرية قبيل فترة الحكم الثنائي	٢٣٥٠
المبحث الثاني سياسة الحكومة السودانية تجاه الإرساليات التنصيرية منذ ١٨٩٩م	٢٣٦١
المبحث الثالث الإرساليات التعليمية التنصيرية في الشمال	٢٣٧٢
ـ البعثة (الإرسالية) الكاثوليكية النمساوية	٢٣٧٤
ـ البعثة(الإرسالية) الأمريكية	٢٣٨١
ـ إرسالية طائفة الأقباط الأرثوذكس	٢٣٨٦
ـ الإرسالية الأسقفية البريطانية	٢٣٩٤
ـ الخاتمة	٢٤٠٤
ـ ملاحق البحث	٢٤٠٦
ـ قائمة المصادر والمراجع	٢٤١٠
ـ فهرس المحتويات	٢٤١٩